المحاضرة الأولى: مفهوم العلم

العلم من الموضوعات المعقدة التي أثارت إشكاليات فلسفية عبر التاريخ وهو السمة التي يحدد من خلالها مدى تقدم الشعوب وتكوين الحضارات في الماضي والحاضر والمستقبل.

و تاريخيا كلما اعتمدت الشعوب على الخرافة والأساطير لتفسير الظواهر العلمية كلما انتشر الجهل والفقر وكلما اعتمدت العلم وسيلة لتفسير الظواهر كلما استطاعت أن تكون لنفسها حضارة وتثبت وجودها في التاريخ.

لقد شهد تاريخ البشرية عبر امتداده جدلا دائما حول الفلسفة التي يبنى عليها العلم وكذا تعريف العلم وتحديد أهم خصائصه وأهدافه ووظائفه والمسلمات التي يقوم عليها العلم وأيضا الطبيعة الخاصة للعلوم الإنسانية.

وبناء على هذا الجدل التاريخي سنحاول معالجة هذا الفصل من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: فلسفة العلم.

المبحث الثاني: تعريف العلم وتمييزه عما يشابهه من مفاهيم.

المبحث الثالث: خصائص العلم.

المبحث الرابع: وظائف وأهداف العلم.

المبحث الخامس: المسلمات التي يقوم عليها العلم.

المبحث السادس: الطبيعة الخاصة للعلوم الإنسانية.

المبحث الأول: فلسفة العلم.

تأرجح العلم تاريخيا وفلسفيا بين النظرة المثالية والنظرة المادية، فلقد طال النقاش بين النزعتين إذ لم يكن سهلا تغلب النزعة المادية على النزعة المثالية التي تحكمت وغرست جذورها لبضع قرون، ولم يكن الوضع نفسه في الحضارة الإسلامية، فبينما كانت أوربا تتخبط في هذا الجدل الفلسفي لتحديد مفهوم العلم، كان العرب المسلمين قد حققوا انجازات كبيرة في مختلف العلوم، لأن الدين الإسلامي حدد بشكل واضح مفهوم العلم عكس ما كان عليه الوضع زمن سيادة الكنيسة في أوربا.

وعليه سنعرض خلال المطالب الثلاثة التالية كل من النظرة المثالية للعلم وكذا رأي المدرسة المادية، ثم مفهوم العلم عند العرب المسلمين.

المطلب الأول: العلم لدى المدرسة المثالية.

يتزعم هذه المدرسة أفلاطون حيث يرى أن النفس البشرية قبل أن تحل بالجسد كانت تعلم كل شيء، وبحلولها فيه نسيت أصلها فالعقل البشري يحتوي على الفكر الخالص الذي يفسر كل شيء، ولا حاجة لاتصال الإنسان بالمادة، لأن هذه الأخيرة ليست أساسا للعلم، والملاحظة ليست إلا وسيلة للتذكر، ولا حاجة لعيش الإنسان في جماعة كي يحدث التبادل ويكون معارفه، لأن منبع المعارف هو الفكر الخالص والتأمل، وموضوع العلم هو العالم المرئي وغير المرئي أي المادة والميتافيزيقيا، وبناء العلم يكون من الكل إلى الجزء، فلا ينتقل العقل من الجهل إلى اليقين بل الفكر المشبع بالمعرفة ينتقل إلى المعرفة الجزئية.

وكان العلم عند اليونان يتسم بالمثالية ولهذا اقتصر على الشق النظري فقط ويعتبر العلم التطبيقي أمرا غير محبذ لأنه يدنس العلم، وقد ساعد على انتشار هذا الفكر تقسيم المجتمع اليوناني إلى طبقات (أحرار وعبيد) فكان العبيد هم من يتعامل مع المادة (الأعمال اليدوية) أما الأحرار فدورهم ينحصر في مجرد النقاش والفكر لأن ذلك أمر روحاني، هذا الوضع انعكس سلبا على تقدم العلم في الحضارة اليونانية، حيث كانت تفصل بين العلوم الرفيعة مثل علم الفلك والعلوم الوضيعة كالكيمياء.

سيطرت هذه النظرة المثالية للعلم على أوربا باعتبارها الوريث الشرعي للحضارة اليونانية طيلة القرون الوسطى، وساعد على ذلك القبضة الحديدية للكنيسة وإقامتها لمحاكم التفتيش لمتابعة كل ما ينشر مخالفا لمبادئ الكنيسة وأفكار أرسطو. وكل الظواهر العلمية كانت تفسر بطريقة روحانية وساد مبدأ احترام الطبيعة من احترام الله. ولعل أبرز مثال يذكره التاريخ وتأسف له الكنيسة في الوقت الحالي هو محاكمة (جاليليو) عقب تأليفه لكتاب حوار عام 1632 والذي عارض فيه مبادئ الكنيسة، وما كان أمامه بعد عرضه على المحاكمة إلا السجود أمام الكنيسة والتوبة عن أفكاره وأرائه العلمية. هذا الوضع ولد تيارا معاديا للتيار المثالي ويعادي حتى الدين الذي كان برأيه هو السند القوي لهذا التيار المتحجر، حيث اعتبر الدين وسيلة لخداع الناس، هذا التيار المعادي قاده (كارل ماركس) وأسس المدرسة المادية.

المطلب الثاني: العلم في المدرسة المادية.

انطلقت هذه المدرسة من أفكار تتعارض تماما مع المدرسة المثالية، وقال فلاسفتها أنه ما لم نجعل أفكارنا تتوافق مع الواقع فإننا بالتأكيد لا نمتلك المعرفة فكسب المعرفة يعني إحلال أفكار صادقة محل الجهل أو محل أفكار غير صادقة ومن هنا نجد أن نمو المعرفة في نمو الأفكار الصادقة داخل مجموع الأفكار.

إن مجرد التقرير أو الإيمان بأن شيئا ما صادق لا يعتبر معرفة، وعلى سبيل المثال قال فلاسفة الإغريق إن الأجسام تتألف من ذرات وهذا صحيح، ولكن الأمر لديهم لم يكن سوى مجرد تخمين موفق، ولكن العلماء توصلوا إلى هذه الحقائق بدراسات علمية منظمة، وعليه فنحن نكسب المعرفة بقدر ما نطور أفكارنا ونجعلها تتوافق مع الواقع وإثباتها.

فحسب النظرة المادية فالمعرفة هي نتاج للنشاط الاجتماعي للإنسان، فقد تتبع الفلاسفة نمو المعرفة لدى الفرد المنعزل عن المجتمع وقرروا في الأخير أن هذا الفرد لن يتطور في معارفه إلا بالقدر الضئيل المرتبط بذاته، وعليه فقد قرروا أن المعرفة تستمد من الوجود المادي، ووجود غيره من الناس يتفاعل معهم، فالعيش وسط الجماعة يضمن تطور الأفكار والمعارف نتيجة التبادل، حيث يحتاج الإنسان إلى معارف غيره كي يبني بها معارفه. وحسب النظرة المادية فالمعرفة ما هي إلا حلول للمشاكل التي يطرحها الواقع العملي.

وعلى هذا الأساس صيغت مقولات الفكر وأساليب الاستدلال ومناهج البحث التي تقوم بواسطتها المعرفة.

يرى أنصار المدرسة المادية أن نقطة البدء في المعرفة هي الإدراك الحسي الذي يكون عن طريق الحواس، ثم تبنى نظريات تفسره ويتحقق من صحتها فيما بعد وتتجدد المعرفة بهذه الطريقة. كما يرى الماديون أن المعرفة تكون من نقطة الصفر أو من معرفة سابقة غير مكتملة. أما المثاليون فقد انطلقوا من يقين مثالي حيث سطروا مبادئ فلسفية وقالوا بأنها تفسر كل شيء، أي أنهم انطلقوا من الكل إلى الجزء في بناء المعرفة.

مما زاد الهوة بين النظرتين هو التطور التكنولوجي الحاصل والذي دفع بالكثير إلى القول بأن العلم وتطبيقاته قد أخذ ينتزع البساط من تحت أقدام المثاليين لكن تطرف الماديين في نظرتهم إلى الكون دعا

البعض إلى محاولة إيجاد نوع من الحوار بين المدرستين لمحاولة التقريب بينهما، ولكن الأمر كان عسيرا جدا. وفي الأخير يمكن القول أن ما جاءت به المدرسة المادية في إنكارها للدين لا يمكن تصديقه. و منه يمكن الإقرار بأن العلم في أصله مادي نابع من الواقع الموضوعي كما قالت المدرسة المادية، ولكن ثمة فسحة روحية مثالية يجب على الفرد التشبع بها من الدين بشكل أساسي. وإذا كان سبب العداء المادي للدين هو تسلط الكنيسة واضطهادها للعلماء فالأمر مختلف عند المسلمين.

المطلب الثالث: العلم عند العرب المسلمين.

في الفترة التي كانت فيها أوربا تعيش في جهل وتخلف كان العرب يحرزون تقدما في شتى العلوم، وكانوا عقلانيين وأصحاب منهج علمي بعيد عن الخرافة والميتافيزيقيا التي غرقت فيها أوربا، فكان العرب يطبقون القياس والاستقراء وهما من أهم المناهج في العلم حيث لم يتوصل إليهما الأوربيون إلا بعد زمن طويل، وكانت العلوم عند العرب يحكمها مبدأ السببية أي أن لكل ظاهرة سبب ومبدأ التناسق والنظام في الكون أي أن اختلاف الظواهر يرتبط بعلل كلية من شأنها أن تثبت التناسق والانسجام القائم بينها.

ومن أبرز علماء المسلمين جابر بن حيان في مجال الكيمياء، وابن الهيثم في رسالته الضوء وكذلك الرازي وابن سينا في مجال الطب، حيث كانا يصفان الأعراض ويشخصان العلل ثم يأتيان على بيان الروابط والعلاقات بين العلل المتشابهة. وفي مجال الصيدلة كانت تعرف قوى الأدوية بطريقتين هما التجربة والقياس.

ولو تسألنا على منهج البحث عند علماء الغرب في القرون الوسطى ليكون موضوع مقارنة ومضاهاة بصدد بحثنا عن العلم العربي في نفس الفترة الزمنية نستطيع أن نؤكد أن العلم العربي تميز بالموضوعية في حين كان العلم الغربي لم يكتب له الخروج من ظلمات القرون الوسطى. إلى أن بدأت حركة النقل من العربية إلى اللاتينية وبعد أن عرف الغرب أبحاث العلماء العرب وأساليبهم العلمية، حيث كانت الطريق ممهدة لقيام عصر النهضة ونشأة المنهج التجريبي في أوربا الحديثة.

المبحث الثاني: تعريف العلم وتمييزه عما يشابهه من مفاهيم.

للتعرف بدقة عن اصطلاح العلم فيجب القيام بمحاولة تعريف العلم وتحديد معناه، وكذا القيام بعملية تمييز العلم عما يشابهه ويقاربه مثل المعرفة والثقافة والفن.

المطلب الأول: تعريف العلم.

إن كلمة علم لغة تعني إدراك الشيء بحقيقته، وهو اليقين والمعرفة .

والعلم اصطلاحا وهو (جملة الحقائق والوقائع والنظريات ومناهج البحث التي تزخر بها المؤلفات العلمية...) أوأن العلم هو(مجموعة المبادئ والقواعد التي تشرح بعض الظواهر والعلاقات القائمة بينها ...) أو أن العلم هو(نسق المعارف العامة العلمية المتراكمة أو بمعنى أسلوب معالجة المشاكل أي المنهج العلمي) أو أن (العلم هو المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب والتي تقوم بغرض تحديد طبيعة واسس وأصول ما تتم دراسته.....العلم هو فرع من فروع المعرفة أو الدراسة، خصوصا ذلك المتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض).

وتدور جل التعريفات حول حقيقة أن العلم هو جزء من المعرفة يتضمن الحقائق والمبادئ والقوانين والنظريات والمعلومات الثابتة والمنسقة والمصنفة والطرق والمناهج العلمية الموثوق بها لمعرفة واكتشاف الحقيقة بصورة قاطعة ويقينية. ولمعرفة اصطلاح العلم أكثر وضوحا يجب تمييز العلم عما يشابهه ويقاربه من مصطلحات مثل المعرفة والثقافة والفن.

المطلب الثاني: تمييز العلم عما يشابهه ويقاربه.

هناك بعض المفاهيم والمصطلحات التي تقترب من اصطلاح العلم وتكاد تختلط به مثل المعرفة والثقافة والفن، يستحسن القيام بمحاولة التمييز بينها وبين اصطلاح العلم.

الفرع الأول: العلم والمعرفة.

العلم والمعرفة يتحدان من حيث المعنى اللغوي إلا أنهما يختلفان اصطلاحا فالمعرفة اصطلاحا هي: (مجموعة من المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة محاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به.) والمعرفة ثلاثة أنواع فهناك المعرفة الحسية

وهي التي يتوصل لها الإنسان عن طريق حواسه وتكون بالملاحظة البسيطة والعفوية ومن أمثلتها ادراك الإنسان لتعاقب الليل والنهار وتقلبات الجو.... وهناك المعرفة الفلسفية والتأملية وهي تبنى على التأمل والتفكير في مشكلات تؤرق الإنسان كأسباب الخلق والموت ونهاية الكون....الخ. وهي أشياء مرتبطة بالعالم الميتافيزيقي وهناك المعرفة العلمية وهي معرفة منظمة لأنها تقوم على مناهج وأساليب بحث ويتوصل إليها الإنسان بإصرار وقصد وهي على نوعين المعرفة العلمية الفكرية من خلال استخدام أدوات عقلية كالاستدلال وهناك المعرفة العلمية التجريبية وهي مجموعة الحلول للظواهر الطبيعية أو الاجتماعية ووضع تفسيرات لها من خلال الملاحظة ثم الفرضية ثم التجريب. ومنه يتضح لنا أن العلم جزء من المعرفة وهو أهم عنصر فيها لأنه يتصف باليقينية.

الفرع الثاني: العلم والثقافة.

تعرف الثقافة بأنها (أنماط وعادات سلوكية ومعارف وقيم واتجاهات اجتماعية ومعتقدات وأنماط تفكير ومعاملات ومعايير يشترك فيها أفراد جيل معين ثم تنتقلها الأجيال بواسطة التواصل الحضاري)

ومنه فالثقافة أوسع من العلم والعلم عنصر فيها ولكنه الأكثر فعالية من بين عناصرها.

الفرع الثالث: العلم والفن.

الفن لغة هو جمال الشيء وحسنه وحسن القيام بالعمل واصطلاحا يعرف بأنه (المهارة الإنسانية والمقدرة على الابتكار والابداع والخلق.) ويمكن التفريق بين العلم والفن في النقاط التالية:

. من حيث الموضوع: فموضوع العلم هو اكتشاف النظريات وتفسير الالعلاقات القائمة بين الظواهر، بينما موضوع الفن هو الاجراءات والأساليب العملية لانجاز فكرة أو عاطفة ما، والفن يتميز ببصمة الفنان على عكس العلم الذي يمتاز بالموضوعية. كما يهدف العلم إلى الاكتشاف والتفسير والتنبؤ والضبط والتحكم بينما يهدف الفن إلى تحقيق أعلى درجة من حسن التطبيق واظهار المهارات الشخصية ومنه فطابع الفن تطبيقي بينما طابع العلم نظري.

. من حيث التراكمية: فالعلم يتراكم ويلغي الجديد منه القديم أما الفن فإنه لا يتراكم فهو يسير في خط أفقي ومثال ذلك أننا يمكن أن نتذوق الشعر القديم واللوحات الفنية السابقة أكثر من الأعمال المعاصرة فالجديد في الفن لا يلغي القديم.

المبحث الثالث: وظائف وأهداف العلم.

يمكن اعتبار وظائف العلم هي ذاتها أهدافه، ويمكننا حصرها في ثلاث وظائف هي:

المطلب الأول: الاكتشاف والتفسير.

يسعى العلم إلى اكتشاف القوانين التي تحكم وتفسر الظواهر لمعرفة أسبابها والتوصل إلى تعميمات تنظم هذه الأسباب، كما يسعى إلى توحيد تعميماته للوصول إلى قوانين على قدر كبير من العمومية والشمول، تتناول كل الظواهر المتماثلة.

المطلب الثاني: التنبؤ.

يهدف العلم إلى صياغة تعميمات لها القدرة على التنبؤ بما يطرأ على الظاهرة من تغيير في المستقبل، والهدف من التنبؤ هو اتخاذ الاجراءات اللازمة للحد من الأثار السلبية للظاهرة.

المطلب الثالث: الضبط والتحكم.

يهدف العلم إلى ضبط الظواهر وتوجيهها والتحكم فيها بعد معرفة أسبابها وقد يكون الضبط والتحكم نظريا ببيان تفسير وشرح كيفية الضبط، وقد يكون الضبط والتحكم عمليا فيستخدم العلم من أجل السيطرة والتوجيه لتجنب السلبيات أو القيام بأمور ايجابية.

المبحث الرابع: خصائص العلم.

يمتاز العلم بالخصائص التالية:

المطلب الأول: التراكمية.

يقصد بها إضافة الجديد إلى القديم، فالعلم يشبه البناء الذي يتكون من طوابق حيث تحل النظريات الجديدة محل النظريات القديمة كلما أثبتت خطأها، وهو يختلف عن المعرفة الفلسفية والفن لأنهما تسيران في خط أفقي، وخاصية التراكمية في العلم تتحقق في اتجاهين، اتجاه رأسي عمودي بالنسبة لنفس الظواهر، والاتجاه الأفقي بالتنقل من ظواهر مدروسة إلى ظواهر تخرج عن دائرة الدراسة.

المطلب الثاني: التنظيم.

العلم هو تنظيم لطريقة تفكيرنا أو لأسلوب ممارستنا العقلية، الباحث في علم من العلوم يجب عليه تنظيم وتصنيف المعطيات المتعددة لتسهيل التعامل معها لكي تفيده في بحثه.

المطلب الثالث: الموضوعية.

تعني الموضوعية الابتعاد عن الذاتية، وينصرف مدلول الموضوعية أيضا إلى القطيعة مع الأحكام المسبقة والأفكار الشائعة، والموضوعية تثار في مجال العلوم الإنسانية بأكثر حدة ولكن الأمر ليس بمستحيل حيث دعا (إيميل دور كايم) إلى ضرورة التعامل مع الظاهرة الإنسانية وكأنها كيان مادي خارج عن وعينا وفكرنا وبمعنى أخر تشبيه الظاهرة الإنسانية بالظاهرة الطبيعية أثناء دراستها.

المطلب الرابع: المنهجية.

النتائج التي يحرزها العلم تأتي عن طريق مناهج علمية سواء لجمع المعلومات أو التحليل أو التفكير، والمنهجية ترتبط بالجانب الشكلي والإجرائي والموضوعي.

المطلب الخامس: الامبيريقية.

وتعني أن العلم يختص بدراسة العالم المحسوس فقط.

المطلب السادس: السببية.

في العلم لكل ظاهرة سبب يسعى الباحث لاكتشافه ولا يمكن رده إلى الصدفة أو إلى التفسيرالخرافي.

المطلب السابع: التعميم.

وهو الانتقال من الحكم الجزئي إلى الحكم الكلي عن طريق دراسة عينة وتعميم النتائج على المجتمع الأصلي بشرط أن تكون عناصره متجانسة.

المطلب الثامن: اليقين.

العلم هو إدراك الشيء بيقين، ولكن المراد باليقين هنا هو اليقين النسبي.

المطلب التاسع: الدقة.

العلم لا يقبل الأحكام الجزافية بل يجب أن تصاغ النظرية بشكل دقيق وأكثر الوسائل تعبيرا عن الدقة وهي الأرقام والجداول البيانية والإحصائيات والنسب المئوية.

المطلب العاشر: التجريد.

حينما يدرس الباحث ظاهرة معينة ويخلص إلى نتائج، فتلك النتائج لا تعني عناصر الظاهرة بحد ذاتهم

ولكن قد تنطبق على كل عنصر يحمل نفس المواصفات.

المطلب الحادي عشر: الحتمية.

هذه الخاصية في العلم تعني أن نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج.

المبحث الخامس: المسلمات التي يقوم عليها العلم.

يقوم العلم على عدة مسلمات نذكر منها:

المطلب الأول: فرضية وحدة الطبيعة واطراد ظواهرها.

يقصد بهذه الفرضية وجود حالات متشابهة في الطبيعة، وبأن ما سيحدث مرة سوف يحدث ثانية إذا توافرت درجة كافية من التشابه في الشروط المسببة لحدوثه.

المطلب الثاني: الخصائص المشتركة بين الأنواع.

أي وجود خصائص مشتركة بين الظواهر بحيث يمكن تصنيفها إلى مجموعات قد تفيد الباحث في معرفة الظواهر الجديدة وإمكانية معالجتها.

المطلب الثالث: مسلمة الثبات في الطبيعة.

تقرر هذه المسلمة بأن ثمة دوام وانتظام في الطبيعة لأن الظواهر الطبيعية تحتفظ بخصائصها الأساسية في ظروف معينة لفترة من الزمن.

المطلب الرابع: حتمية وقوع الظواهر.

وهذه المسلمة تنكر وقوع حادث ما نتيجة للصدفة أو الظروف الطارئة، وما حدث بسبب ظروف معينة سيحدث حال توافر نفس الشروط.

المطلب الخامس: الجانب الإنساني في عملية المعرفة.

هذه المسلمة تعني أن الباحث يمكن أن يخطئ في تقديره، وهذا ليس متعلق بالظواهر، وهو يعتمد على الإدراك والتذكر والتفكير وكلها معرضة للخطأ، وهناك خطأ الحواس وخطأ الذاكرة وخطأ التفكير والاستدلال.

المبحث السادس: الطبيعة الخاصة للعلوم الإنسانية.

يرى البعض أن العلوم الإنسانية ليست علوما ويرى آخرون أنها تتقدم شيئا فشيئا حتى تصبح علوما ولكنها من نوع خاص. غير أن هذه الآراء أصبحت لا تعكس الحقيقة للعلوم الإنسانية التي أصبحت

علوما للاعتبارات التالية:

المطلب الأول: من حيث النتائج.

قد أحرزت العلوم الإنسانية نتائج جد هامة تتعلق بضبط سلوك الإنسان وتفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بما سيطرأ على الظاهرة في المستقبل.

المطلب الثاني: من حيث الطريقة العلمية.

العلوم الإنسانية تخضع للمناهج العلمية مثلها مثل العلوم الطبيعية، وقد أثبت هذا التوجه عالم الاجتماع (إيميل دوركايم).

المطلب الثالث: من حيث أهداف العلوم الإنسانية.

الهدف من العلوم الإنسانية هو ضبط الظواهر وإيجاد تفسيرات لها.

المطلب الرابع: من حيث المادية.

اعتبار العلوم الإنسانية ذات طابع مادي، وعليه يمكن إخضاعها للتجربة والملاحظة أو إخضاعها للمنطق والفكر. لقد أصبحت الدول المتطورة تعمل العلوم الإنسانية من أجل تحديد سياساتها المستقبلية.

المحاضرة الثانية: البحث العلمي

كلما تميزت شعوب الإنسانية بالتفكير العلمي والابتعاد عن الدجل والخرافة كلما كانت أكثر قدرة على بناء الحضارة وتقلص نصيب الجهل في صفوفها، وكلما ابتعدت عن التفكير العلمي وعن العلم انغمست في مستنقع الجهل والتخلف وعليه فإذا أراد شعب ما أن يبني حضارة أو أن يطور نفسه

فعليه الاهتمام بتطوير العلم من خلال تشجيع وتكريس البحث العلمي. فماهو مفهوم البحث العلمي؟ وما هي مراحل إعداد البحث العلمي؟

هذا ما سنتناوله من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: مفهوم البحث العلمي.

المبحث الثاني: مراحل إعداد البحث العلمي.

المبحث الأول: مفهوم البحث العلمي.

لتحديد مفهوم البحث العلمي يتعين علينا التطرق إلى النقاط الأساسية التالية: تعريفه وخصائصه وأنواع البحوث العلمية وكذا الأدوات المستخدمة في البحث العلمي.

المطلب الأول: تعريف البحث العلمي.

البحث لغة معناه أن تسأل أو تطلب أو تستخبر عن شيء معين، واصطلاحا هناك عدة تعريفات من بينها: (البحث العلمي تجميع منظم لجميع المعلومات المتوفرة لدى الباحث عن موضوع معين وترتيبها بصورة جديدة بحيث تدعم المعلومات السابقة أو تصبح أكثر نقاء ووضوحا.) كما عرف أيضا بأنه (وسيلة للاستفهام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع في هذا الاستعلام والاستقصاء خطوات المنهج العلمي واختيار الطرق والأدوات اللازمة للبحث.) كما يعرف بأنه (المحاولة الدقيقة للتوصل إلى حل المشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره.) وعليه يمكن استخلاص أن الوسيلة هي البحث العلمي والغاية هي العلم.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن استخراج بعض الشروط الموضوعية للبحث العلمي نذكر منها:

. يجب أن تكون هناك مشكلة تستدعي البحث عن حل لها.

. توافر الأدلة التي تحتوي على الحقائق.

. التحليل الدقيق للأدلة و تصنيفها.

. استخدام العقل والمنطق لترتيب الدليل في حجج وإثباتات.

. الموضوعية وعدم التعصب للرأي وقبول النتائج التي تسفر عنها الأدلة.

. الحل المحدد وهو الإجابة النهائية عن المشكلة وتكون في شكل تعميم.

المطلب الثاني: خصائص البحث العلمي.

يمتاز البحث العلمي بجملة من الخصائص نذكر منها ما يلي:

الفرع الأول: البحث العلمي بحث منظم ومضبوط.

أي أن البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، حيث أن القوانين والنظريات قد تحققت واكتشفت بواسطة نشاط عقلي منظم ومهيء جيدا وليس وليد الصدفة مما يحقق للبحث العلمي عامل الثقة الكاملة في نتائجه.

الفرع الثاني: البحث العلمي بحث حركي تجديدي.

مما يعني أن البحث العلمي ينطوي دائما على تجديد وإضافة معرفية عن طريق استبدال مستمر ومتواصل للمعارف المتجددة.

الفرع الثالث: البحث العلمي بحث عام ومعمم.

أي أن المعلومات والمعارف تكون معممة وفي متناول الجميع حتى تكتسب الصفة العلمية، وهي عامة لأنها تتناول كل مجالات العلوم.

هذه هي الخصائص التي تشترك فيها كل البحوث العلمية، لكن هناك خصائص تخص بعض أنواع البحوث دون غيرها مثل خاصية التجريب بالنسبة للبحث التجريبي، وكذا خاصية التفسير التي يتميز بها البحث التفسيري.

المطلب الثالث: أنواع البحوث العلمية.

تنقسم وتتنوع البحوث والدراسات العلمية إلى عدة أنواع وذلك بحسب كيفية معالجتها للحقائق والظواهر والأشياء وكذا على أساس النتائج التي تتوصل إليها، فقد تكون البحوث تنقيبية استكشافية وقد تكون تفسيرية نقدية وقد تكون بحوثا كلية وشمولية كاملة، وقد تكون بحوثا استطلاعية أو بحوثا وصفية تشخيصية وقد تكون بحوثا ودراسات تجريبية.

الفرع الأول: البحث الاكتشافي التنقيبي.

وهو البحث الذي يتمحور حول حقيقة جزئية يسخر الباحث كل جهده لاكتشافها ومن الأمثلة على ذلك الطبيب الذي يبحث عن فعالية دواء معين وكذلك الباحث التاريخي الذي يبحث في السيرة الذاتية لشخصية معينة.

الفرع الثاني: البحث التفسيري النقدي.

هو البحث الذي يمتد إلى مناقشة الأفكار ونقدها والتوصل إلى نتيجة تكون غالبا الرأي الراجح بين الأراء المتضاربة، وعليه فالهدف من هذه البحوث ليس الاكتشاف ولكن الهدف هو النقد والتفسير لأفكار تم اكتشافها.

الفرع الثالث: البحث الكامل.

هو بحث يجمع بين النوعين السابقين ويهدف إلى حل المشاكل حلا كاملا وشاملا ويستهدف وضع قوانين وتعليمات بعد التنقيب الدقيق والشامل لجميع الحقائق المتعلقة بالموضوع، ثم القيام بتفسير وتحليل الأدلة والحجج التي يتم التوصل إليها. فهو يستخدم بالإضافة إلى كل من البحث التنقيبي والبحث النقدي التفسيري يستخدم أسلوب التعمق والشمولية والتعميم. ويشترط في البحث العلمي الكامل ما يلي:

. وجود مشكلة تتطلب حلا علميا.

. اكتشاف حقيقة معينة وقيام أدلة على وجودها.

. تفسير الأدلة والحقائق والحجج والآراء ونقدها نقدا موضوعيا وعلميا تمهيدا للحل النهائي.

. التوصل إلى حل علمي نهائي وإجابة حقيقية عن المشكلة المطروحة .

الفرع الرابع: البحث العلمي الاستطلاعي.

البحث الاستطلاعي أو الدراسة العلمية الكشفية الصياغية الاستطلاعية وهو البحث الذي يستهدف التعرف على المشكلة فقط، وتكون الحاجة إلى هذا النوع من البحوث عندما تكون مشكلة جديدة أو عندما تكون المعلومات عنها ضئيلة، وعادة ما يكون هذا النوع من البحوث تمهيدا لبحوث أخرى تسعى لإيجاد حل للمشكلة.

الفرع الخامس: البحث الوصفي التشخيصي.

وهو البحث الذي يستهدف تحديد سمات وصفات وخصائص ومقومات ظاهرة معينة تحديدا كميا وكيفيا بحيث يسهل التعرف عليها فيما بعد ومقارنتها بباقي الظواهر والأشياء.

الفرع السادس: البحث التجريبي.

هو ذلك البحث الذي يقوم على أساس الملاحظة والتجارب الدقيقة لإثبات صحة الفروض.

المطلب الرابع: أدوات البحث العلمي.

وهي مجموعة الأساليب والطرق التي يستعملها الباحث في جمع المعلومات اللازمة للبحث العلمي.

ومن جملة هذه الأدوات ما يلي:

الفرع الأول: العينة.

وتكون كبديل عن دراسة المجتمع أو الظاهرة ككل فيلجأ الباحث إلى اختيار عينة يبحثها ليصل إلى نتائج يستطيع تعميمها فيما بعد على كافة الظاهرة أو كل المجتمع المراد دراسته. و يجب أن تتوفر العينة على الشروط التالية:

1). يجب أن تكون وحدات المجتمع المدروس متجانسة.

2). يجب أن تكون العينة كبيرة بحيث تفي بالغرض من الدراسة.

3). تحدد طريقة اختيار العينة مسبقا.

كما يمكن إجمال أسباب اختيار طريقة العينة فيما يلي:

1). عدم إمكانية دراسة كل عناصر المجتمع الأصلي.

2). ارتفاع تكلفة دراسة الكل.

3). عدم إمكانية حصر كل عناصر المجتمع الأصلي.

وتنقسم العينات إلى عينات احتمالية وعينات غير احتمالية.

العينات الاحتمالية: تكون إما:

. عشوائية بسيطة تختار عن طريق القرعة.

. عشوائية طبقية وفيها يقسم المجتمع المدروس إلى أقسام وأصناف حسب مميزات خاصة وتكون هي أساس التقسيم ثم يؤخذ من كل عددا عشوائيا.

. وهناك العينة الطبقية التناسبية وهي التي يكون فيها عدد الأفراد في كل عينة متناسبا مع عدد أو نسبة ذلك القسم المدروس من المجتمع الأصلي.

. وهناك العينة المنظمة وهي التي تجمع بين العشوائية والتنظيم وتكون من خلال الفصل بين الفئات المختارة برقم ثابت يحدده الباحث ثم يحدد عشوائيا نقطة الانطلاق ثم يتقيد بذلك الفارق الثابت بين

أفراد العينة.

أما العينة العنقودية فهي التي يقسم فيها أفراد المجتمع المدروس إلى أقسام متجانسة، ثم تؤخذ جملة من الأقسام توفي عدد أفراد العينة المقترحة للدراسة.

. وهناك العينة العرضية وهي التي يكون اختيارها عرضيا بمحض الصدفة وبالتالي فهي لا تعبر عن المجتمع الأصلي وهي لا تمثل إلا نفسها.

العينات غير الاحتمالية: وهي فئة من العينات التي تبنى على حكم الباحث وليس على مجرد الصدفة، وهي تشتمل على الأنواع التالية:

. العينة الحصصية وهي تفترض تقسيم المجتمع الأصلي على أساس ما وكذا وجود بيانات حول هذا المجتمع معدة مسبقا فيختار الباحث حصة معينة.

. وهناك العينة العمدية وهي التي تفترض وجود دراسات سابقة تحدد معالم المجتمع الأصلي بحيث تصبح العينة تمثل حقيقة المجتمع الأصلي.

وهناك العينة الملائمة وهي التي يقوم الباحث فيها باختيار العدد الملائم من أفراد المجتمع المراد دراسته.

الفرع الثاني: طرق جمع المعلومات.

من بين أساليب جمع المعلومات الاستبيان والمقابلة والملاحظة.

الاستبيان وهو عبارة عن استمارة تتضمن بعض الأسئلة موجهة إلى عينة من المجتمع الأصلي حول ظاهرة أو موقف معين وهناك نوعين من الاستبيان المقيد والمفتوح، فالمقيد هو التي تكون الأجوبة محددة وما على المستجوب إلا الاختيار بين النعم أو لا، أما المفتوح وهو الذي يترك للمستجوب حرية اختيار الإجابة التي يرغب فيها وهذا النوع غير محبذ في المجتمعات غير المثقفة.

المقابلة وهي محادثة موجهة بين الباحث والشخص المبحوث بهدف الوصول إلى الحقيقة.

الملاحظة وهي من بين التقنيات المستعملة في حالات معينة وتحتاج إلى معاينة ميدانية.

المبحث الثاني: مراحل إعداد البحث العلمي.

لكي يكون البحث العلمي بحثا منظما ومضبوطا لابد من اتباع مراحل معينة في انجازه، وهذه المراحل تشترك فيها كل أنواع البحوث مما اختلفت مواضيعها وهذه المراحل يمكن إجمالها فيما يلي: مرحلة اختيار الموضوع، مرحلة جمع الوثائق والمعلومات، مرحلة القراءة، مرحلة تقسيم الموضوع، مرحلة تدوين

المعلومات، ومرحلة الكتابة.

المطلب الأول: مرحلة اختيارالموضوع.

هي أول مرحلة تواجه الباحث، والمتمثلة في اختيار موضوع مناسب من الناحية الموضوعية والذاتية، وعلى هذا الأساس غالبا ما يتريث الباحث في هذه المرحلة لكي لا يقع في مشكلة تغيير الموضوع في المستقبل. ويجب أن يطرح موضوع البحث اشكاليات حقيقية تستدعي البحث فيها، ولهذا فإن هذه المرحلة يتم فيها تحديد إشكالية البحث.

و عليه سنتناول خلال هذا المطلب فرعين، الفرع الأول نخصصه لعوامل اختيار الموضوع والفرع الثاني نتناول فيه طرق صياغة مشكلة البحث.

الفرع الأول: عوامل اختيار الموضوع.

هناك عوامل ذاتية تتعلق بشخص الباحث وهناك عوامل موضوعية تتعلق بطبيعة البحث.

أولا: عوامل اختيار الموضوع المرتبطة بشخص الباحث.

هناك عدة عوامل تجعل الباحث يميل لاختيار موضوع ما دون غيره من الموضوعات، وهي تتمثل في:

1) الرغبة النفسية وهي أول ما يشد الباحث نحو موضوع معين للدراسة والتعمق والتخصص فيه، مما يخلق نوعا من الانشداد النفسي والوجداني بينه وبين موضوع البحث، مما قد يذلل الصعاب التي قد تواجه الباحث والارهاق الجسماني تحوله الرغبة إلى مجرد متعة وهواية.

2) القدرات الشخصية للباحث وهي من بين ما يجب على الباحث مراعاته عند اختيار الموضوع والمتمثلة في:

. القدرات العقلية وهي تتمثل في قدرة الباحث في تناول جميع جوانب الموضوع بكل موضوعية واقتدار، والتحكم في شتى العلوم المكملة للبحث مما يتطلب الصراحة مع النفس.

. القدرات الجسمانية وهي ضرورة سلامة الباحث من أي إعاقة تحد من قدرة الباحث على مواكبة البحث، وأن لا يكلف نفسه ما لا تطيق.

. الحالة الاجتماعية والمالية للباحث، حيث هناك بعض البحوث تتطلب مصاريف كثيرة وقد تتطلب تنقل الباحث حتى إلى الخارج، فإذا كان متكفلا بعائلة فهذا لا يسمح له بالتنقل بحرية والغياب عن البيت.

. إتقان اللغات الأجنبية وهي التي تمكن الباحث من الاطلاع على الدراسات والمراجع باللغات الأجنبية، خصوصا الدراسات المقارنة.

3) التخصص العلمي بحيث يجب أن يكون الموضوع المختار يدخل من بين اختصاصات الباحث وتخصصه العلمي سواء كان الخصص العام أو الخاص ومثال ذلك فالباحث المتخصص في القانون يجب عليه أن يراعي تخصصه الفرعي أي قانون عام أو قانون خاص، وإذا كان قانون خاص فيحدد التخصص الفرعي المدني أو التجاري.

4) التخصص المهني حيث من المرغوب فيه أن يواصل الباحث في نفس تخصصه المهني بحيث توفر له الوظيفة الإمكانيات الضرورية للبحث وكذلك يستفيد من الترقية المهنية من خلال رفع مستواه العلمي.

ثانيا: عوامل اختيار الموضوع المرتبطة بطبيعة البحث.

من بين العوامل المؤثرة على اختيار الموضوع والمرتبطة بطبيعة البحث نجد ما يلي:

1) المدة المحددة لإنجاز البحوث العلمية وهي المدة الضرورية لإنجاز البحث والمحددة من قبل الجهات الوصية على الدراسات المتخصصة، وعليه فعلى الباحث أن يختار الموضوعات التي تتناسب والمدة الممنوحة له لإنجاز البحث. أو قد تسحب منه الرخصة المحددة للتأهيل.

2) القيمة العلمية لموضوع البحث العلمي، المطلوب في البحث أن يكون مبتكرا يمكن من الكشف عن حقائق جديدة أو على الأقل يدعم المعلومات السابقة بحيث تصبح أكثر نقاءا ووضوحا.

3) الدرجة العلمية المتحصل عليها بالبحث، وهي إما أن تكون درجة الماجستير أو الدكتوراه أو من أجل ترقية مهنية، مما يدفع بالباحث إلى اختيار موضوع دون غيره بما يتناسب والدرجة التي يصبوا الوصول إليها.

4) مراجع البحث ومصادره تعتبر عاملا هاما في اختيار موضوع البحث بحيث كلما تعددت وتنوعت المراجع كلما كان البحث ثريا وغنيا بالمعلومات. وبالمقابل كلما كانت المراجع قليلة كلما كان البحث غير موثوق في نتائجه، ويقلل من قيمته العلمية.

الفرع الثاني: صياغة مشكلة البحث.

تعد معايير اختيار الموضوع هي نفسها معايير اختيار مشكلة البحث، وذلك لأن البحث العلمي ما

هو إلا إجابة عن مشكلة ما. ولتحديد المشكلة يتوجب التقيد بالقواعد التالية:

. يجب أن تكون مشكلة البحث خاصة وغير غامضة.

. يجب أن تصاغ المشكلة بصورة واضحة.

. يجب توضيح المصطلحات المستخدمة في صياغة المشكلة، تجنبا للبس أو الغموض.

عادة يقوم الباحث باختيار الموضوع ثم يحدد المشكلة التي يطرحها ذلك الموضوع، ولكن قد يحدث بعد البحث في الموضوع والتعمق فيه أن تظهر للباحث إشكاليات أخرى تحتاج إلى معالجة مما قد يدفع به إلى صياغة الإشكالية أو تغييرها كليا.

المطلب الثاني: مرحلة جمع الوثائق والمعلومات.

بعد اختيار الموضوع وصياغة مشكلته، تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة جمع الوثائق والمعلومات المتعلقة بالبحث، خلال هذا المطلب سنتناول في الفرع الأول تحديد معنى الوثائق وأنواعها، وفي الفرع الثاني علمية التوثيق.

الفرع الأول: تحديد معنى الوثائق وأنواعها.

الوثائق العلمية هي كل المراجع والمصادر التي تحتوي على معلومات ومعارف لها صلة بموضوع البحث، وقد تكون مخطوطة أو مطبوعة أو مسموعة أو مرئية. و لمعرفة المعنى الدقيق للوثائق يجب التمييز بين نوعين هما المصادر والمراجع.

أولا: المصادر أو المصادر الأصلية.

هناك عدة تعريفات للمصادر من بينها: " الوثائق والدراسات الأولى المنقولة بالرواية أو مكتوبة بيد مؤلفين أسهموا في تطوير العلم".

ومصادر البحث عامل هام في تحديد قيمته العلمية، ومن بين الوثائق التي تعتبر المصادر الأصلية للبحوث العلمية القانونية:

. المواثيق الوطنية والدولية . المذكرات الإيضاحية للقوانين ومحاضر اجتماعات الهيئات التشريعية . الأوامر والقوانين والنصوص التنظيمية . الدساتير . المؤتمرات والاتفاقيات الدولية . الأحكام والقرارات القضائية . المقابلات الشخصية . الإحصائيات الرسمية . التصريحات الرسمية للشخصيات الأفلام الوثائقية والشهادات الحية ذات الآثار القانونية.

ثانيا: المراجع أو المصادر الثانوية.

تسمى أيضا بالمصادر غير الأصلية وهي التي تعتمد في مادتها العلمية على المصادر الأصلية فتتعرض لها بالتحليل والنقد والتعليق والتلخيص. وقد يكون المرجع كتابا أو مقالا أو رسائل لنيل الدرجات العلمية.

الفرع الثاني: عملية التوثيق.

أهم ما تثيره مسألة التوثيق هو تعريفه وبيان أهميته وكذا كيفية تسجيل المعلومات الموثقة.

أولا: تعريف التوثيق وأهميته.

التوثيق أو الببليوغرافيا كلمة مأخوذة من اليونانية وتعني كتابة الكتب. وهي تعني في الوقت الحاضر إعداد قوائم الكتب ومعرفة مؤلفيها وموضوعاتها وكافة بيانات النشر، وهذه العملية يقوم بها الباحث بعدما يطلع على قوائم المصادر والمراجع الموجودة بالمكتبات والمراكز العلمية.

ثانيا: كيفية تسجيل المعلومات الببليوغرافية.

يتعين على البحث أن يدون أسماء المصادر ومؤلفيها وبيانات النشر في البداية ويكون التدوين في بطاقات، تخصص كل بطاقة لمصدر واحد لكي يسهل الرجوع إليها. ويمكن للباحث أن يتبع الطرق الخاصة بكتابة البطاقات للمصادر التالية: الكتب، الموسوعات، الدوريات، المخطوطات، الرسائل الجامعية، الوثائق الرسمية، الأشرطة المصورة، المصادر القانونية، برامج التلفزيون، المقابلات.

1) الكتب. يجب أن تتضمن البطاقة المخصصة لكتب البيانات التالية: رقم الكتاب ومكان وجوده توضع على الجانب الأيمن من البطاقة، ثم اسم المؤلف ولقبه وإذا كان للكتاب عدة مؤلفين فيتم ذكرهم بالترتيب بحسب ورودهم في الكتاب، ثم عنوان الكتاب والجزء ورقم الطبعة إن وجدت ثم دار ومدينة ودولة وسنة النشر.

نموذج لبطاقة مخصصة لكتاب.

25436

المكتبة الوطنية بالحامة

د. عمار عوابدي

مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية

الطبعةالخامسة

ديوان المطبوعات الجامعية،2005

2) الموسوعات.

تذكر البيانات التالية: عنوان الموسوعة تحته خط عدد الطبعة ثم عنوان المقال بين قوسين ثم إسم المؤلف ثم بيانات النشر.

3) الدوريات.

هي مطبوعات تصدر دوريا وتدون بالشكل التالي: اسم الكاتب ثم عنوان المقال ثم عنوان المجلة ثم رقم العدد وتاريخ إصدار المجلة وتعيين رقم الصفحة أو الصفحات المخصصة للمقال.

4) المخطوطات.

تدون بشأنها البيانات التالية: اسم المؤلف ثم عنوان المخطوطة بين قوسين وموضوع المخطوطة ثم تاريخ النسخ ثم اسم البلد الذي توجد به ثم اسم المجموعة التي تنسب إليها ورقمها ثم وصفها إن كانت أصلية أو مصورة.

5) الرسائل الجامعية.

يدون بشأنا البيانات التالية: اسم المؤلف ثم عنوان الرسالة بين قوسين ثم نوع البحث واسم الكلية واسم الجامعة التي قدمت بها وتاريخ المناقشة تذكر السنة فقط.

6) الوثائق الحكومية.

وتدون بياناتها بالشكل التالي: اسم الدولة ثم السلطة التي أصدرت الوثيقة ونوع الوثيقة وكذا بيانات النشر.

7) النصوص القانونية والتنظيمية.

وتتضمن: اسم الدولة واسم السلطة ونوع القانون ثم رقم القانون وتاريخ صدوره ثم عدد الجريدة الرسمية وتاريخ صدورها بين قوسين وأرقام الصفحات.

8) الأحكام والقرارات القضائية.

وتتضمن بطاقتها البيانات التالية: عنوان القضية ويذكر الحروف الأولى من اسم المدعي والمدعى عليه ثم اسم المحكمة أو المجلس واسم البلد ثم رقم القضية والتاريخ بين قوسين.

9) الأحاديث وبرامج التلفزيون.

ويذكر بشأنها البيانات التالية: اسم المتحدث عنوان الحديث بين قوسين ثم اسم القناة واسم البلد والتاريخ.

10) المقابلات الشخصية.

ويذكر بشأنها: موضوع المقابلة يوضع تحته خط ثم نقطة اسم الشخص الذي أجريت معه المقابلة وصفته ثم مكان وتاريخ إجرائها.

المطلب الثالث: مرحلةالقراءة.

هي من أهم مراحل إعداد البحث العلمي وهي عمل منظم يفرض طرقا وأساليب محددة يجب التقيد بها . وعليه سنتطرق من خلال الفروع التالية إلى أنواع وشروط ونتائج القراءة.

الفرع الأول: أنواع القراءة.

وتنقسم بحسب المدة التي تستقرها ودرجة عمقها إلى:

أولا: القراءة الاستطلاعية.

وتسمى كذلك القراءة السريعة وهي تهدف إلى تقييم المصادر من حيث درجة ارتباطها بموضوع البحث، وكذا من حيث قيمتها العلمية، وأيضا الإطلاع عن بيانات التأليف وجدة الموضوع ونوع الدراسة. وهذه القراءة يجب أن لا تأخذ وقتا طويلا.

ثانيا: القراءة العادية.

بعدما يحدد الباحث من خلال القراءة الاستطلاعية المصادر التي يجب التعمق فيها بالقراءة والتفكير، فإنه ينتقل إلى نوع آخر من القراءة أكثر تركيزا على الموضوعات التي تم اختيارها، ويقوم بتسجيل كل المعلومات الهامة في بطاقات والقيام بعمليات الاقتباس اللازمة.

ثالثا: القراءة العميقة.

هناك بعض الوثائق تحتاج إلى قراءة عميقة و مركزة لأنها ذات قيمة علمية كبيرة، ولها صلة وطيدة بموضوع البحث تتطلب التحليل والتفكير المركز.

الفرع الثاني : شروط القراءة.

يجب أن تتوفر في القراءة الشروط التالية:

. أن تكون القراءة شاملة لكافة المصادر المرتبطة بالموضوع.

. يجب أن تكون القراءة منظمة ومرتبة.

. يجب أن يكون الباحث قادرا على الفهم والنقد.

. يجب اختيار الوقت المناسب للقراءة، والمكان المناسب لها.

الفرع الثالث: النتائج التي تحققها القراءة.

تستهدف عملية القراءة تحقيق النتائج التالية:

. فهم الموضوع والتعمق فيه والإلمام بجميع جوانبه، وكذا اكتساب حقائق ومعلومات وأفكار جديدة.

. اكتساب الباحث للأسلوب العلمي، وكذا التحكم في اللغة الفنية الملائمة لتخصص الباحث.

. اكتساب الباحث مهارة التقسيم والموازنة شكلا و موضوعا من خلال حطة البحث.

. اكتساب الباحث الشجاعة الأدبية، مما يؤهله إلى إبداء رأييه في مختلف مسائل الخلاف التي يعالجها البحث من خلال النقد والتعقيب.

المطلب الرابع: مرحلة تقسيم الموضوع.

يتم تقسيم الموضوع إلى أجزاء وذلك بوضع خطة أو مخطط للبحث، وهذا المخطط يشبه البناء المتناسق. وعليه سنتناول خلال هذا المطلب شروط ومعايير وقوالب التقسيم.

الفرع الأول: شروط تقسيم الموضوع.

من بين شروط تقسيم الموضوع مايلي:

. يجب أن ينطلق في تقسيمه من مشكلة البحث ولا يخرج عنها.

. أن تكون خطة البحث شاملة لكافة عناصر الموضوع.

. احترام مبدأ مرونة الخطة، بحيث يتمكن من إضافة أي عنصر دون المساس بتوازن الخطة.

. تحاشي تكرار العناوين الموجودة في المراجع.

. التقييد بالأسلوب العلمي، وصياغة عناوين جزئية تكون منسجمة مع العناوين الرئيسية.

. يجب مراعاة التوازن الشكلي والموضوعي للخطة.

. يجب أن تكون كل عناصر الخطة مترابطة بحيث إذا حذفنا أحد العناصر يظهر الخلل في اليحث.

. يجب أن تكون العناوين واضحة وكاملة في بنائها.

الفرع الثاني: معايير التقسيم.

يجب النظر أولا إلى طبيعة المشكلة التي يدور حولها الموضوع لأنها المعيار الأساسي لتقسيم البحث، ويمكن حصرها في البحوث القانونية في الحالات التالية:

. إذا كان الموضوع تاريخيا يمكن تقسيم البحث إلى أحقاب زمنية تفي بالغرض من الدراسة.

. إذا كان الموضوع ذو طبيعة تاريخية وقانونية فيمكن تناول الجانب التاريخي في القسم الأول والجانب القانوني في القسم الثاني.

. إذا كان الموضوع يشتمل على جزء نظري وأخر عملي تطبيقي، فيمكن التقسيم إلى جزئين أي محاولة التعرض للجانب النظري ثم الجانب العملي في كل قسم.

. وإذا كان الموضوع يحتوي على خلاف بين الفقه والقضاء والتشريع فيمكن تناوله في ثلاثة أقسام وإضافة قسم رابع للمقارنة بينهم. والأفضل تناول في كل قسم الجانب الفقهي والتشريعي والقضائي والمقارنة بينهم.

. أما إذا كان الموضوع يتعلق بدراسة مقارنة بين التشريعات فمن الأفضل اعتماد التقسيم الموضوعي، ثم إجراء المقارنة بين التشريعات المراد دراستها.

وقد يكون التقسيم في البحث بين العام والخاص وقد يكون بين الكل والجزء وقد يكون بين الأسبق والسابق والحاضر والمستقبل.

الفرع الثالث: قوالب تقسيم الموضوع.

وهي الأطر الشكلية والموضوعية التي تصب فيها مختلف أجزاء البحث وهي مرتبة تنازليا كالآتي:

الكتاب، الجزء، القسم، الباب، الفصل، المبحث، المطلب، الفرع.....الخ.

بالاضافة إلى هذه العناصر يحتوي كل بحث عن مقدمة وخاتمة.

المطلب الخامس: مرحلة تدوين المعلومات.

بعد أن يعد الباحث خطة لبحثه ينتقل إلى مرحلة تدوين المعلومات من المصادر المختلفة، وهذه العملية تستدعي أدوات منظمة وتشتمل على شروط وقواعد منهجية.

الفرع الأول: طرق تدوين المعلومات.

ينصح بإتباع إحدى الطريقتين، إما طريقة البطاقات يرتبها الباحث بحسب أجزاء الموضوع، ويدون

المعلومات في وجه واحد. وهي طريقة منتقدة لأنها غير عملية. وهناك طريقة الملفات يتكون الملف من غلاف سميك وحاملة أوراق مثقوبة ويقوم الباحث بتصنيف الأوراق داخل الملف حسب خطة البحث. وهنا يسهل عليه الإضافة أو الحذف لأي عنصر من عناصر البحث.

الفرع الثاني: قواعد تدوين المعلومات.

يجب على الباحث التقيد بقواعد التدوين المنهجية والمتمثلة في:

. اشتمال كل ورقة على الموضوع الفرعي والمعلومات المتعلقة بالموضوع ثم بيانات المصدر.

. المعلومات التي خصصت للموضوع يجب أن تذكر بوضوح، ويذكر في كل ورقة موضوعا واحدا.

. يجب تحديد الأفكار المقتبسة من المصادر حرفيا والتي يصوغها الباحث بأسلوبه الخاص، فيحاول أن يميزها بطريقة خاصة.

المطلب السادس: مرحلة الكتابة.

هذه المرحلة هي من أصعب مراحل البحث، فهي التي يخرج فيها البحث في شكله النهائي إلى الجمهور. كما يجب التقيد بقواعد الكتابة وكذا الالتزام بالمواصفات النهائية للبحث العلمي.

الفرع الأول: قواعد عملية الكتابة.

القواعد المنهجية التي تحكم عملية الكتابة هي:

. يجب استبعاد كل الأوراق التي لا تنسجم مع الموضوع

. يجب كتابة البحث بأسلوب علمي بحيث يجب مراعاة الضوابط التالية:

1) يجب أن تكون اللغة سليمة من الأخطاء اللغوية والنحوية.

2) استخدام اللغة الفنية المتخصصة.

3) الابتعاد عن اللغة الشعرية الأدبية وما فيها من صور بلاغية.

4) يجب الابتعاد عن ألفاظ السخرية والتهكم.

5) الإيجاز والتركيز في عرض الأفكار والمفاهيم.

6) التسلسل المنطقي في الانتقال من جملة إلى أخرى ومن فقرة إلى أخرى.

7) في حالة الاقتباس الحرفي لا يجوز للباحث تحريف الكلام أو تغييره ولا يجوز الإكثار من الاقتباس في الصفحة الواحدة.

8) يجب مراعاة القواعد المنهجية في توثيق المصادر والهوامش.

9) التهميش يمكن أن يكون في كل صفحة أو عند نهاية كل فصل أو عند نهاية البحث

10) يجب مراعاة قواعد التهميش المعتمدة للكتب والمقالات والنصوص والأحكام والقرارات والرسائل العلمية.

11) يجب مراعاة العلامات الإملائية وطرق استعمالها، مثل النقطة والفاصلة والنقطتان، علامة الاستفهام والتعجب .....الخ.

الفرع الثاني: المواصفات النهائية للبحث العلمي.

يشتمل البحث العلمي النهائي على الأجزاء التالية:

. الصفحات التمهيدية: وفيها صفحة العنوان وصفحة الإهداء وصفحة الشكر.

. مقدمة وهي أولى مشتملات البحث، ويكون فيها تمهيد وطرح الإشكالية والمحاور وأسباب اختيار الموضوع والهدف من الدراسة وكذا المنهج المعتمد والصعوبات التي واجهت البحث.

. صلب الموضوع ويحتوي على كل العناصر التي بني عليها التقسيم الذي وضعه الباحث.

. الخاتمة وهي عبارة عن حوصلة البحث ويضع فيها الباحث كل الانتقادات والاقتراحات التي يقدمها من خلال بحثه.

. الملاحق وهي المعلومات التي يريد الباحث إلحاقها بالبحث ولا يستطيع أن يدرجها داخل مضمون البحث، كما يشترط في الملاحق أن تكون ذات أهمية علمية وتربطها بالموضوع علاقة غير مباشرة. ففي مجال العلوم القانونية يمكن أن تدرج كملاحق النصوص القانونية والأحكام والقرارات القضائية.....الخ.

. قائمة المصادر والمراجع، ويجب إعدادها بشكل منهجي ومنظما يزيد في القيمة العلمية للبحث. ويعتبر من المصادر والمراجع ما يلي: الكتب المتخصصة والعامة، المعاجم، الموسوعات، النصوص القانونية، الأحكام والقرارات القضائية والدوريات، الأبحاث والرسائل الجامعية، والاتفاقيات الدولية.

قاائمة المحتويات: هي تحتوي على كل ما تضمنه البحث من عناوين أساسية وفرعية، يقابلها رقم الصفحة.

المحاضرة الثالثة: مناهج البحث العلمي

من خلال هذا الفصل سنتناول مفهوم علم المناهج في المبحث الأول والمبحث الثاني نخصصه لمناهج البحث العلمي الأساسية والفرعية.

المبحث الأول: مفهوم علم المناهج.

بادر بعض فلاسفة الغرب إلى تأسيس علم المناهج بشكل واضح، حيث ظهر بعدها كعلم مستقل له أسسه ومبادئه المعممة على شتى العلوم ومختلف ميادين البحث، ومنذ ذلك الحين انصرف اهتمام الكثير من العلماء إلى دراسة هذا العلم وتحليله وبيان كيفيات تطبيقه، وأهم ما يميز هذا العلم أن كل العلوم تسعى إلى التقرب منه وذلك لأنه المحدد الأول لمدى علمية أي معرفة من المعارف، وعليه فكل العلوم بما فيها العلوم الإنسانية تفتخر بعلميتها كلما نجحت أكثر في تطبيق المناهج العلمية فيها. فما هو علم المناهج؟ وكيف تكون؟ وما هي أهم التصنيفات التي وضعت له؟ وما مدى إمكانية إخضاع

العلوم الإنسانية للمنهج العلمي؟

هذا ما سنتناوله من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف علم المناهج.

المطلب الثاني: تكوين علم المناهج.

المطلب الثالث: تصنيفات المناهج العلمية.

المطلب الرابع: مدى إمكانية إخضاع العلوم الإنسانية للمنهج العلمي.

المطلب الأول: تعريف علم المناهج.

المنهج لغة هو الطريق الواضح والسليم وتقابلها باللغة الفرنسية كلمة (Méthode) واصطلاحا يعرف المنهج بأنه «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة.»

إذا لم تكن هناك قواعد مسبقة تحكم سير العقل في الوصول إلى الحقيقة ولكن كانت الخطوات منظمة ودقيقة فيكون المنهج تلقائي، وذلك لأن السير الطبيعي للعقل إذا لم تحدد أصوله مسبقا وكان منظما من شأنه أن يسطر لنفسه منهجا من دون الاعتماد على ما هو موجود من قواعد منهجية مسطرة مسبقا، ولكن المنهج التلقائي قد يعرض صاحبه للخطأ، وذلك لأن تفكير شخص واحد ليس كتفكير جمع كبير من علماء المناهج، أما مناهج البحث العلمي فقد جاءت عن طريق دراسات متخصصة من طرف كثير من علماء المناهج لذا فتطبيقها يضفي على نتائج البحوث نوع من الثقة. ومنه فالمنهج هو مجموعة القواعد والقوانين التي تبين لنا أوجه الخطأ والصواب في خطوات البحث، وطرق البحث عن الحقيقة، والعلم الذي يبحث في المناهج وينتقدها و يضع قواعدها يسمى علم المناهج وقد أخذ صفة العلم لأنه يحتوي على مبادئ مشتركة بين كافة العلوم أي أن النتائج المتوصل إليها تقبل التعميم كما أنها تتصف بالتجريد.

كما يعرف المنهج العلمي بأنه:«قواعد بسيطة ومؤكدة إذا راعاها الباحث مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صوابا ما هو خطأ، أو هو بيان القواعد والإرشادات التي ينبغي أن نتبعها لكي نستخدم ملكاتنا العقلية على الوجه الأكمل.»

كما عرف المنهج بأنه: « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار، إما من أجل الكشف عن

الحقيقة حين نكون لها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون لها عارفين.»
استخدمت كلمة علم المنهجية أو علم المناهج(Méthodologie)لأول مرة على يد الفيلسوف كانط، وذلك عندما قسم المنطق إلى قسمين أساسيين هما:

1). مذهب المبادئ وهو الذي يبحث في الشروط والطرق الصحيحة للحصول على المعرفة.
2). علم المناهج الذي يهتم بتحديد الشكل العام لكل علم وتحديد الطريقة التي يتكون ويتشكل بها أي علم من العلوم.

فعلم المناهج هو العلم الذي يبحث في مناهج البحث العلمي والطرق العلمية التي يكتشفها ويستخدمها العلماء والباحثون من أجل الوصول إلى الحقيقة، ومنه نصل إلى أن علم المناهج هو العلم الدارس والباحث للمناهج العلمية المختلفة.

المطلب الثاني: تكوين علم المناهج.

المقصود بتكوين علم المناهج هنا هو بيان كيفية تكوين المناهج العلمية، وما نصيب كل من العالم المتخصص في ميدان علمه والفيلسوف المنطقي في تكوين قواعد ومبادئ وقوانين المناهج العلمية، وبمعنى آخر هل يتم تكوين المناهج بواسطة رجال المنطق والفلاسفة مسبقا ويضعونه في صورة مبادئ وقواعد علمية يجب على الباحث والعالم المتخصص أن يلتزم بها مقدما ويسير على هديها خلال القيام ببحوثه العلمية أم هي من اختراع واكتشاف الباحث والعالم المتخصص في ميدان علمه.

أثار هذه المشكلة بصورة واضحة وحاسمة كلود برنار في كتابه "المدخل لدراسة الطب التجريبي" حيث يقرر أنه يجب على العالم والباحث المتخصص ألا يتقيد بمنهج ومذهب فلسفي معين أثناء القيام بأبحاثه العلمية لأن المناهج لا يمكن أن تدرس نظريا كقواعد وقوانين نظرية ولكن هي تتكون داخل الميدان والمعمل. أما الدكتور عبد الرحمان بدوي فإن له رأي آخر مضمونه هو حتمية تكامل وتعاون وتساند كل من العالم المتخصص والفيلسوف المنطقي في تكوين المناهج وعلم المناهج، ويرى أن ما طرحه كلود برنار صحيحا حيث أن مناهج البحث العلمي في تطبيقاتها على مختلف فروع العلوم والمعرفة ولكن هذا الرأي ليس صحيحا بالقول بإنفراد العالم المتخصص بخلق وتكوين مناهج البحث العلمي دون مشاركة العالم المنطقي والفيلسوف المفكر.

وعليه فعملية تكوين مناهج البحث العلمي وعلم المناهج عملية يشترك فيها العالم المتخصص والفيلسوف المنطقي بصورة تكامل وتعاون وتساند بحيث يقوم العالم المتخصص في مرحلة أولى ببيان المنهج الذي اكتشفه واتبعه في بحوثه ودراسته العلمية المتخصصة في نطاق علم من العلوم ثم يقدم تقريرا أو أطروحة أو مقالا عن ذلك، ثم يأتي دور علم آخر أوسع علما وأفقا ذو عقلية تأملية شمولية وعامة ليقوم بعملية ملاحظة مراقبة وتنسيق بين التقارير والنتائج التي يتوصل إليها العلماء المتخصصون في مختلف فروع العلوم.

ومنه نصل إلى أن كافة المناهج العلمية صالحة لبحث في كافة العلوم، فليس هناك تخصص أو تخصيص للمناهج.

كما أنه يمكن استخدام كافة المناهج العلمية في بحث علمي واحد وفي نطاق علم معين واحد بشكل استخدام تكافل وتعاون وتساند كافة هذه المناهج في انجاز بحث علمي كامل وشامل ذو براهين يقينية ثابتة ومطلقة.

المطلب الثالث: تصنيفات المناهج العلمية.

هناك جملة من التصنيفات التقليدية والحديثة نتناولها في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: التصنيفات التقليدية لمناهج البحث العلمي.

تم تصنيف مناهج البحث العلمي تقليديا إلى عدة تصنيفات نذكر من بينها ما يلي:

. المنهج التحليلي والمنهج التركيبي: المنهج التحليلي الإكتشافي أو منهج الاختراع وهو يستهدف الكشف عن الحقيقة، أما المنهج التركيبي أو ألتأليفي الذي يقوم بتركيب وتأليف الحقائق التي تم اكتشافها أو اختراعها بواسطة المنهج التحليلي وذلك بهدف تعليمها ونشرها للآخرين. ما يعاب على هذا التصنيف أنه ناقص لأنه يتحدث عن الأفكار فقط ولا يشمل القوانين والظواهر كما أنه لا يصلح لكافة فروع العلم والمعرفة.

. المنهج التلقائي والمنهج العقلي التأملي: المنهج التلقائي هو ذلك المنهج الذي يسير فيه العقل سيرا طبيعيا نحو المعرفة أو الحقيقة دون تحديد سابق لأساليب وأصول وقواعد منظمة، أما المنهج العقلي التأملي فهو ذلك المنهج الذي يسير فيه العقل والفكر في نطاق أصول وقواعد منظمة ومرتبة من أجل اكتشاف الحقيقة أو الحصول على المعرفة.

هذا التصنيف كذلك منتقد لأنه تحدث عن طرق ووسائل الحصول على المعرفة والشروط العقلية العلمية وليس على مناهج البحث العلمي كمناهج لها أصول وقواعد وقوانين.

الفرع الثاني: التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلمي.

يمكن إجمال التصنيفات الحديثة من خلال الرجوع إلى الفقهاء الذين نادوا بها ونتناولها على النحو التالي:

. تصنيف هويتني رتب الفقيه هويتني المناهج العلمية على النحو التالي:

1) المنهج الوصفي.
2) المنهج التاريخي.
3) المنهج التجريبي.
4) البحث الفلسفي.
5) البحث التنبؤي.
6) البحث الاجتماعي.
7) البحث الإبداعي.

تصنيف ماركيز: رتب ماركيز مناهج البحث العلمي على النحو التالي :

1) المنهج الأنثروبولوجي (الملاحظة الميدانية).
2) المنهج الفلسفي.
3) منهج دراسة الحالة.
4) المنهج التاريخي.
5) منهج المسح.
6) المنهج التجريبي.

تصنيف جود و سكايتس: رتب هذان الفقيهان مناهج البحث العلمي إلى:

1) المنهج التاريخي.

2) المنهج الوصفي.
3) منهج المسح الوصفي.
4) المنهج التجريبي.
5) منهج دراسة الحالة والدراسات الإكلينية.
6) منهج دراسات النمو و التطور والوراثة.

كل هذه التصنيفات بالغ أصحابها في تحديد مناهج البحث العلمي حيث أقحموا بعض أنواع البحوث وطرق الحصول على المعرفة والثقافة وكذا بعض أجزاء المناهج الأصلية.

لكن هناك مناهج أصلية وأخرى فرعية متفق عليها من طرف العلماء وكتاب علم المناهج وهي على النحو التالي:

المناهج الأصلية : المنهج الاستدلالي ـ المنهج التاريخي ـ المنهج التجريبي ـ المنهج الجدلي (الدياليكتيك).

المناهج الفرعية: وتظم كل المناهج الأخرى التي لم يتم الاتفاق حول اعتبارها مناهج أصلية ومن بينها المنهج الوصفي والمنهج الإحصائي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن وغيرها من مناهج البحث الأخرى.

المطلب الرابع: مدى إمكانية إخضاع العلوم الإنسانية للمنهج العلمي.

لم يقبل العلماء بسهولة في السابق فكرة تطبيق مناهج البحث العلمي على العلوم الإنسانية، حيث كانوا ينظرون إليها على أنها ليست علوما وذلك لما تحدثه العلوم الإنسانية من لبس في المفاهيم نظرا لخصائصها المتنوعة والمتمثلة في:

ـ الظواهر السلوكية معقدة ومتشابكة.
ـ الظواهر السلوكية ديناميكية وسريعة التغيير والتفاعل.
ـ فقدان التجانس بين الظواهر السلوكية.
ـ صعوبة استخدام الطرق المختبرية.
ـ التحيز والميول الشخصي للباحث.

أهم قاعدتين طرحهما علماء العلوم الإنسانية من أجل تذليل الصعوبات التي تعوق البحث العلمي في

هذا المجال هما:

1) اعتبار الظواهر الاجتماعية أشياء عند دراستها فالشيء هو كل ما يصلح أن يكون مادة للمعرفة ومنه تصبح مثل الظواهر الطبيعية قابلة للإدراك من خارج ذاتية الباحث.

2) استبعاد كل العوامل النفسية التي تبعث في نفس الباحث الشعور بالقهر الاجتماعي هذا ما دعا إليه إيميل دوركايم من أجل عزل الظواهر الاجتماعية عن فكر ووعي الباحث وجعلها كأنها كيان قائم بذاته خارج مجال التأثير على الفرد.

المحاضرة الرابعة :المنهج الاستقرائي

الاستقراء هو عبارة عن استدلال تصاعدي حيث ينطلق الباحث من الجزء إلى الكل، أي من الظاهرة الجزئية إلى الظاهرة الكلية.

إذن يتمثل المنهج الاستقرائي في السير من الخاص إلى العام و معنى كلمة "استقراء" بحسب حركة العقل للقيام بعمليات هدفها التوصل إلى قانون أو قاعدة كلية تحكم الفرعيات أو التفاصيل التي تم إدراكها من قبل الأفراد.

الفرد بين الاستنباط و الاستقراء يتمثل في أننا ننتقل في الاستقراء من الجزئيات إلى القانون الكلي الذي يحكمها ،في حين أننا في عملية الاستنباط ننتقل من القانون الكلي إلى الجزئيات التي تقع تحته. إذا هناك تداخل بين عملية الاستقراء و عملية الاستنباط و الخلاف بينهما لا يكون إلا في الاتجاه العكسي من أسفل إلى أعلى بالنسبة للاستقراء و من أعلى إلى أسفل بالنسبة إلى الاستنباط.

و كمثال على عملية الاستقراء :

أن يقوم الباحث بدراسة علاقة جهاز القضاء بجهاز التنفيذ ، ثم علاقة القضاء بالجهاز التشريعي ثم علاقة القضاء بالجهاز التشريعي ثم علاقة الجهاز التشريعي بالجهاز التنفيذي ، من خلال كل ذلك نصل إلى تقرير مبدأ الفصل بين السلطات كمبدأ السلطات كمبدأ ضروري لنظام الحكم في الدولة .

و في هذا المثال تكون قد انتقلنا من دراسة الجزئيات المتمثلة في السلطات المختلفة إلى دراسة الكليات المتمثلة في مبدأ الفصل بين السلطات ، و بالتالي نكون قد استخدمنا المنهج الاستقرائي في الدراسة.

من الناحية التاريخية ، يعتبر الفيلسوف "أرسطو" أول من استعمل المنهج الاستقرائي في أبحاثه و تحليلات السياسية حول الدولة و الحكومة و قد انتقد الفيلسوف "أرسطو" المنهج الاستقرائي الاستنباطي الذي استعمله الفيلسوف "أفلاطون" و نتيجة هذه الانتقادات جاء المنهج الاستقرائي

ثانيا: خطوات المنهج الاستقرائي :

يتبع المنهج الاستقرائي الخطوات التالية :

1- تحديد الظاهرة المراد دراستها

2- جمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة

3- الوصول إلى نتائج و الكشف عنها

و قد قام الفيلسوف "أرسطو" باستعمال المنهج الاستقرائي في دراسته للدولة و الحكومة حيث ينتقل من الجزء إلى الكل، و يتمثل الجزء في الأسرة و القرية أما الكل فيتمثل في الدولة ، و التي يعتبرها "أرسطو" بأنها نتاج تطور تاريخي مر بمراحل اجتماعية للوصول إلى مرحلة الدولة و هي : الأسرة القرية ، الدولة.

فالأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع و هي تتكون من الزوج و الزوجة و الأبناء و كذلك الأهل و الأقارب و العبيد. و هذه الأسرة لا يمكنها أن تعيش بمعزل عن بقية الأسر، كذلك وجدت القرية التي تشمل مجموعة من الأسر.

أما الدولة فهي تتكون من مجموعة من القرى و هي تمثل الظاهرة الكلية عند "أرسطو"، أما الأسرة و القرية فتمثل الظاهرة الجزئية.

و من خلال ذلك، فإن المنهج الاستقرائي أصبح مطبقا بشكل واسع من طرف مفكري العصر الحديث في مجال القانون الدستوري خصوصا و العلوم الاجتماعية عموما.

المحاضرة الخامسة: المنهج التاريخي

يعني علم التاريخ بدراسة الحوادث الماضية من أجل فهم الحاضر و من ثم التنبؤ بالمستقبل و من خلال ذلك فإن الباحث في مجال علم التاريخ يقوم بتحليل الأحداث الماضية و تفسيرها بهدف الوقوف على مضامينها و تفسيرها بصورة علمية تحدد تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات.

يقول عبد الرحمن بن خلدون في أهمية الاستعانة بالتاريخ:

"إن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على الأحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في سيرهم و الملوك في دولتهم و سياستهم حتى تعم فائدة الاقتداء في ذلك لما يرونه في أحوال الدين و الدنيا، فهو (أي المؤرخ) محتاج إلى معارف متنوعة و حسن نظر و تثبت يفضيان إلى الحق و ينكبان عن الأخطاء .

لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل لم يؤمن مزلة القدم ، و التاريخ في ظاهرة لا يزيد عن أخبار الأيام و الدول و السوابق من القرون الأولى و في باطنه (أي التاريخ) نظر و تحقيق و تحليل و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها.

و الجدير بالذكر أن بعض الباحثين يرون أن التاريخ لا يعتبر علما باعتبار أن من يقومون باسترجاع الأحداث الماضية لتحليلها لا يقومون بملاحظة الظواهر التي حثت فعلا حتى يمكن لهم دراستها بطريقة موضوعية و أن المؤرخين يعتمدون على الاستماع أو النقل عن الآخرين أو القيام بتجميع بعض المقالات المنشورة هنا و هناك و في كل هذه الحالات ،فإن الأمر يتطلب الحيطة و الحذر لتفادي الوقوع في الخطأ أو التأويل غير الدقيق للظواهر التي وقعت في الماضي.

إلا أن كل ذلك لا يقلل من إمكانية استخدام المنهج التاريخي في البحوث ، لأن علم التاريخ عبارة عن قواعد ذات دلالات هدفها تحليل و تحقيق للكائنات من خلال سرد أو إيراد علمي منطقي للوقائع و أسبابها من لحظة تحققها في الماضي إلى غاية الوقت الحالي .

من خلال كل ذلك عرف بعض الباحثين التاريخ بأنه"التدوين للأحداث الماضية" و عرفه البعض الآخر "وصف الحقائق التي حدثت في الماضي بطريقة تحليلية ناقدة"

من خلال ذلك ، نلاحظ أن علم التاريخ لا يمكن فصله عن المنهج التاريخي ،و ذلك باعتبار البحث أو التقصي العلمي وسيلة موضوعية هدفها الوصول إلى نتائج أو قوانين أو قواعد يمكن تعميمها واستخدامها للتنبيء بما قد يحدث في المستقبل ضمن السياق التاريخي.

بعدما تطرقنا إلى تعريف التاريخ، من الضروري أن نعرف الآن المنهج التاريخي، فما هو المنهج التاريخي ؟ ماهي خصائصه؟

تعريف المنهج التاريخي:

تعرف الدكتورة ليلى الصباغ المنهج التاريخي بأنه"مجموعة الطرائق و التقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي ، و المؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية و إعادة بناء الماضي ، بكل دقائقه و زواياه ، و كما كان عليه في زمانه ،و مكانه و بجميع تفاعلات الحياة فيه، و هذه الطرائق قابلة دوما للتطور ، و التكامل مع تطور مجموع المعرفة الإنسانية و تكاملها و نهج اكتسابها"

إذن يمكن القول أن المنهج التاريخي هو ذلك المنهج الذي يقوم على طريقة علمية يتبعها الباحث من أجل الوصول إلى المعرفة و الحقيقة ، و يتبع في ذلك الدراسة التحليلية للظاهرة المدروسة من خلال الإطار الزماني و الإطار المكاني ، و يكون ذلك وفق خطوات معينة تعتمد على المصادر التاريخية من أجل فهم الظاهرة كما هي في الوقت الحالي.

خصائص المنهج التاريخي:

يتميز المنهج التاريخي بأنه يسعى إلى سد فجوات الوقائع و الأحداث الاجتماعية و السياسية، كما يزودنا بإحساس تاريخي لأن الأحداث التاريخية ليست منعزلة أو المستقلة عن بعضها البعض،و إنما هي مترابطة في سياق زمن محدد.

خطوات المنهج التاريخي:

من أجل دراسة الظاهرة التاريخية يتطلب من الباحث أن يتبع الخطوات التالية :

1- تحديد الظاهرة محل الدراسة و البحث

2- جمع المعلومات و المصادر التاريخية بشأن الظاهرة المدروسة

3- نقد المصادر التاريخية

4- عملية التركيب و التفسير التاريخي

5- الوصول إلى نتائج

1- تحديد الظاهرة التاريخية:

إن تحديد الظاهرة التاريخية يتعلق بتحديد المشكلة التي يريد الباحث التصدي لها في بحثه.

و يستعين الباحث في مجال العلوم القانونية بالمنهج التاريخي حيث يقوم بتحديد الظاهرة التاريخية المتعلقة بموضوع بحثه و مثال ذلك: أصل الدولة و نشأتها في مجال القانون الدستوري – التطور التاريخي للعقوبات في النظم القانونية المختلفة ....إلخ

2- جمع المعلومات و المصادر التاريخية :

تعتبر مرحلة جمع المعلومات و الوثائق و المصادر التاريخية من أهم مراحل المنهج التاريخي، و يكن تقسيم المصادر التاريخية إلى قسمين: مصادر أولية ، و مصادر ثانوية

* المصادر الأولية: تتمثل في الآثار و الوثائق الرسمية مثل المعاهدات و الاتفاقيات و الخطب ، و المؤتمرات الصحفية ..... و تسمى هذه المصادر كذلك بالمصادر الأصلية أو المباشرة

* المصادر الثانوية: و تتمثل في كل ما نقل و كتب بالاستناد إلى المصادر الأولية و يمكن القول أن المصادر الثانوية هي الأعمال العلمية و الأدبية التي تكتب تحليلا للمصادر الأولية.

3- نقد المصادر التاريخية:

تعتبر هذه المرحلة بالنسبة للباحث من أصعب مراحل البحث التاريخي لأنها تتعلق بنقد الوثائق التاريخية التي تشكل الركيزة الأساسية للدراسة التاريخية.

و تتعلق هذه المرحلة بالبحث عن صحة الوثيقة المعتمد عليها في البحث التاريخي و التأكد من شخصية أصحابها و مدى نسبتها لهم، بمعنى أن الباحث يتطرق إلى مدى صحة أو خطأ أو تزييف المصادر التاريخية.

و النقد الذي يقوم به الباحث إما أن يكون نقدا خارجيا أو نقدا داخليا.

* النقد الخارجي : و يتعلق بالتأكد من صحة الوثيقة من خلال مظهرها الخارجي و علاقتهما فعلا بعصر من العصور التي صدرت فيها من خلال الدراسة الزمانية و المكانية انطلاقا من نوع الخط و اللغة المستعملة في الكتابة و شخصية مؤلفها و ربط زمن صدور الوثيقة بحياة شخصية هذا المؤلف.

* النقد الداخلي : و يسمى بالنقد الباطني ، و يتعلق النقد الداخلي بالتفاصيل الموضوعية التي تتضمنها الوثيقة و هو نوعان :

- نقد باطني إيجابي (نقد داخلي إيجابي) و يتعلق بتفسير النص التاريخي و هدف المؤلف منه.

- نقد باطني سلبي (نقد داخلي سلبي) و يتعلق بتحليل شخصية المؤلف و ظروفه ، مدى صة ما ورد من حوادث .

من خلال ذلك فإن النقد الداخلي يفرض على الباحث أن يقارن الوثيقة التاريخية المعتمدة في البحث مع وثائق أخرى صادرة عن نفس الشخص لمعرفة مدى تطابق الآراء الواردة فيها أو تناقضها أو تقاربها ، لأن التضارب قد يدلنا على أن الوثيقة منسوبة إلى شخص آخر.

كما يقوم الباحث بدراسة الفترة الزمنية التي كتبت فيها تلك الوثيقة و هل تتوافق مع ما ورد فيها و ذلك من خلال وثائق أخرى.

كما يقوم الباحث بدراسة كل الوثائق التي تتعلق بنفس الظاهرة المدروسة و معرفة مدى انسجامها مع بعضها البعض من حيث مضمونها.

4- عملية التركيب و التفسير التاريخي:

بعد الانتهاء من عملية نقد المصادر التاريخية يقوم الباحث بالانتقال إلى عملية التركيب و التنظيم و كذلك التفسير استنادا إلى التفسير السببي للظاهرة التاريخية.

و يتتبع الباحث في هذه العملية خطوات معينة هي:

- تكوين محصلة واضحة للباحث حول كل حقيقة من الحقائق التي جمعها و اكتشفها.

- يقوم الباحث بتنظيم الحقائق المتوصل إليها عن طريق تصنيفها إلى حقائق جزئية استنادا إلى التسلسل التاريخي للأحداث.

– ملء الفراغات التي تحدث أثناء تصنيف الحقائق ، و يؤدي ذلك إلى إسقاط حوادث لم ترد في الوثائق أو استنتاج حوادث لم يتم ذكرها في الوثائق و لكنها وقعت.

– استعمال عملية ربط العلاقات بين الحقائق التاريخية ربطا حتميا وسببيا بمعنى الخضوع إلى عملية التسبيب و التعليل التاريخي.

5- **الوصول إلى استخلاص النتائج** :

و هذه المرحلة الأخيرة حيث يتوصل المؤرخ أو الباحث إلى مجموعة من النتائج.

هذه هي خطوات المنهج التاريخي الذي يستخدمه المؤرخ في دراسته التاريخية العلمية ، كما يمكن تطبيق المنهج التاريخي في الدراسات القانونية و السياسية ،و هذا ما سنحاول التطرق له فيما يلي

المنهج التاريخي في العلوم القانونية

تستعين العلوم القانونية بمختلف فروعها بالمنهج التاريخي، فإذا درسنا أصل القانون أو تطور حركة التشريع ، فلا بد أن نرجع إلى الحضارات القديمة ، و كمثال على ذلك الحضارة البابلية ، فقد عرفت هذه الأخيرة ما يسمى بـ"قانون حمورابي"،و في الحضارة الرومانية هناك"الألواح الأثني عشر لجوستنيان" و بذلك فعند دراستنا للنظم القانونية السابقة لا بد علينا استخدام المنهج التاريخي.

عند دراستنا للعقوبة و تطورها التاريخي عبر النظم القانونية المختلفة لابد علينا التقيد بظوابط المنهج التاريخي في هذه الدراسة العلمية.

المحاضرة السادسة: المنهج المقارن

تحل المقارنة في مجال العلوم السياسية خصوصا في العلوم الاجتماعية و الإنسانية عموما محل التجربة، فإذا كانت العلوم الطبيعية تستخدم التجربة و تعتمد عليها في أبحاثها فإن المقارنة هي البديل في مجال العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، و يصنف العالم الاجتماعي "إميلدور كايم" المنهج المقارن بأنه " نوع من التجريب غير المباشر"

إن المنهج المقارن يدفعنا إلى توضيح معنى المقارنة ، فهذه الأخيرة تعني تلك العملية التي يتم من خلالها إبراز أوجه الشبه و أوجه الاختلاف بين شيئين متماثلين أو أكثر ، و هذا يعني أنه لا يمكن أن تجرى المقارنة بين شيئين متناقضين.

و بذلك فإن المنهج المقارن هو تجريب غير مباشر و يقصد إميل دوركايم هنا بالمقارنة و التي هي المعوض الأساسي و الرئيسي للتجريب المباشر ،و هذا ما يعتبر من خصائص العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ويعرف جون ستيوارت مل المنهج المقارن بقوله "إن المنهج المقارن الحقيقي يعني مقارنة نظامين سياسيين متماثلين في كل الظروف ولكنهما يختلفان في عنصر واحد، حتى يمكن تتبع نتائج هذا الاختلاف.

وعموما، فإن المنهج المقارن هو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظواهر حيث يبرز أوجه الشبه و أوجه الاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، و يعتمد الباحث من خلال ذلك على مجموعة من الخطوات من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة بالظواهر المدروسة.

تطبيق المنهج المقارن في الدراسات القانونية :

تجرى على مستوى العلوم القانونية الكثير من الأبحاث التي تستعمل المنهج المقارن، من خلال مقارنة مؤسسات قانونية (مؤسسة الرقابة على دستورية القوانين – مؤسسة وظيفة السلطة التنفيذية...) المؤسسات قانونية في نظم قانونية أخرى. وكثيرا ما تؤدي هذه الدراسات المقارنة إلى تعديل وتغيير المنظومة القانونية بما يتوافق مع التطورات الجديدة

خطوات المنهج المقارن –بحيث أن تكتب قبل تطبيق المنهج المقارن في الدراسات–

يتبع الباحث في مجال الدراسات المقارنة في مجال العلوم القانونية الخطوات التاليةM

– تحديد الظواهر المتجانسة(المتماثلة) وليس الظواهر المتناقضة.

– القيام بجمع المعلومات بواسطة استخدام بعض أدوات البحث العلمي.

– القيام بعملية التحليل والتصنيف للمعلومات ومقارنتها.

المحاضرة السابعة: المنهج الوصفي

يعتمد هذا المنهج على التركيز الدقيق على الوصف، حيث يصف ظاهرة معينة استنادا إلى وضع حالي، ومن خلال ذلك يطرح الباحث مجموعة من الأسئلة:

- ما هو الوضع الحالي لهذه الظاهرة؟
- ما هي العلاقات بين الظاهرة المحددة والظواهر الأخرى؟
- ما هي النتائج المتوقعة لدراسة هذه الظاهرة؟

وقد تكون الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال القيام بعملية جمع الحقائق والبيانات الكمية أو الكيفية عن الظاهرة المدروسة مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا

ويهدف المنهج الوصفي إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نذكر منها:

- القيام بجمع المعلومات ذات العلاقة بموضوع الظاهرة المدروسة بطريقة مفصلة
- القيام بتوضيح الظواهر الأخرى وعلاقاتها بالظاهرة المدروسة.
- مقارنة الظاهرة محل الدراسة بالظواهر الأخرى المحيطة بها.

إذن يمكن القول أن المنهج الوصفي هو ذلك الطريقة العلمية التي يعتمدها الباحث في دراسته لظاهرة معينة وفق خطوات معينة،و يقوم خلالها بتحليل المعطيات و البيانات التي بحوزته المتعلقة بالظاهرة المدروسة و ذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة بالظاهرة.

إذن من خلال ذلك نلاحظ أن هناك خطوات للمنهج الوصفي هي :

- تحديد الظاهرة محل الدراسة و البحث.
- القيام بجمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة المراد دراستها.
- و ضع الفرضيات
- اختيار عينة الدراسة

- القيام باختيار أدوات البحث التي سيستعملها الباحث في دراسته
- الوصول إلى نتائج
- القيام بتحليل النتائج و تفسيرها و الوصول إلى تعميمات.

أنواع المنهج الوصفي :

تتقسم المناهج الوصفية إلى أنواع هي :

- منهج الدراسات المسحية
- منهج دراسة الحالة
- منهج دراسات النمو و التطور

أنواع الدراسات الوصفية:

يتدرج تحت المناهج الوصفية مجموعة من المناهج الفرعية مثل:

- منهج الدراسة المسحية
- منهج دراسة الحالة

1- منهج الدراسة المسحية :

يعتبر منهج المسح من أكثر المناهج استعمالا في البحوث الوصفية، و استنادا إلى هذا المنهج فإن الباحث يقوم بعملية دراسة شاملة لموضوع دراسته و جمع البيانات و المعلومات المتعلقة بهذه الظاهرة، و تحليل الوضع الراهن لها في بيئة محددة و وقت محدد.

من خلال ذلك يمكن القول أن المنهج المسحي يهدف إلى:

1- وصف الظاهرة المدروسة و تشخيصها و تحليلها و جمع بيانات حولها و تقرير حالتها كما هي في الوقت الراهن، و في هذا المجال فإن الدراسة المسحية تتعلق بالوقت الذي يجرى فيه البحث و لا تتعلق بالظاهرة و لا بمستقبلها.

2- يقوم الباحث بتقديم المعايير المحددة التي يجب أن تكون الظاهرة وفقها.

3- من خلال دراسة الواقع يقوم الباحث بإسقاط ما هو موجود فعلا في المجتمع مع ما ينبغي أن يكون عليه الحال وفق معايير محددة، و في هذا الإطار فإنه يقوم بمقارنة بين الواقع و بين المعايير المحددة.

4- يقوم الباحث بتقديم اقتراحات و أساليب من أجل الوصول إلى ما ينبغي أن تكون عليه الظاهرة استنادا إلى المعايير المحددة.

5- يصل الباحث في الأخير إلى استخلاص النتائج التي يمكن تطبيقها على مجتمع الدراسة كله

إن الدراسات المسحية تعتمد كثيرا على أدوات البحث العلمي التي، و لا يمكنها أن تغفل ذلك، بل أن هذه الأدوات هي محور هذه الدراسة و مثال ذلك المقابلات التي يجريها الباحث مع العينة التي يختارها من مجتمع الدراسات و كذلك قيامه بعملية الاستبيان.....الخ

و الحقيقة أن للدراسات المسحية أنواع كثيرة منها: المسح المدرسي – الدراسة المسحية للرأي العام – المسح الاجتماعي .

* ***المسح المدرسي:***

و يتعلق هذا المسح بدراسة قطاع مهنة التعليم، حيث يقوم الباحث بتسليط الضوء على العملية التربوية و مدى فعاليتها. و مثال ذلك أن يقوم الباحث بدراسة مسحية للجهاز القائم بالتدريس (المدرسون) و ذلك من خلال مجموعة من العناصر يمكن أن تتمثل في نسبة المدرسين إلى التلاميذ في المدرسة، الصفات الشخصية التي ينبغي أن تتوافر في المدرس و علاقتهما بفاعلية التدريس، الحجم الساعي لساعات التدريس، مستوى أجور المدرسين، أعمار المدرسين و علاقتها بفاعلية التدريس...الخ

و قد يقوم الباحث بإجراء دراسة مسحية تتعلق بالطلبة أو التلاميذ من خلال مجموعة من العناصر يمكن أن تتمثل في رغبة الطلبة أو التلاميذ في دراسة مادة معينة و مدى استعدادهم لتلقي المعلومات فيها، المستوى الاجتماعي للطلبة أو التلاميذ و مدى تأثير ذلك على عملية التعلم، المستوى الاقتصادي للطلبة أو التلاميذ و مدى تأثير ذلك على عملية التعلم...الخ.

و قد يقوم الباحث بدراسة المناهج الدراسية المطبقة و مدى تأثيرها وفعاليتها في مجال التعليم، وذلك من خلال أهداف هذه المناهج و محتواها، و طرق و أساليب تدريسها، و في هذا الإطار تكون الدراسة المسحية المدرسية دراسة تربوية.

* ***الدراسات المسحية للرأي العام***:

يعتبر هذا النوع من الدراسة أحد أنواع الدراسات المسحية، و هي تتعلق بالرأي العام، و الرأي العام هو مجموع الآراء و الأحكام السائدة في المجتمع،و التي تكتسب بصفة الاستقرار، و التي قد تختلف في وضوحها و دلالتها، و لكنها تكون صادرة عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم، رغم اختلافهم في مدى إدراكهم لمفهومها، و مبلغ تحقيقها لينفعهم العام،و مصلحتهم المشتركة.

من خلال ذلك فإن الرأي العام هو اتجاه جماعي يعبر عن رأي الغالبية العظمى بين أفراد مجتمع معين نحو أمر من أمور التي تتعلق بهم و تؤثر فيهم.

و إذا كان الأمر كذلك، فإن عملية مسح الرأي العام تعتبر طريقة للتعرف على آراء الناس بشأن مسألة معينة في وقت معين، و يتعلق الأمر هنا بمسألة مفتوحة للجدل و النقاش.

و هذه الدراسة المسحية للرأي العام تستخدم بالضرورة أدوات البحث العلمي و خاصة المقابلات و الاستفتاءات، كما أنها تختار عينة كبيرة العدد عل أن تمثل وجهات نظر قطاعات مختلفة و متنوعة معتمدة في ذلك على تنوع السن و الديانة، و الدرجة العلمية و الحالة العائلية و المستوى الاجتماعي و الاقتصاد و غيرها من المعايير المختلفة و ذلك من أجل أن تكون عملية قياس الرأي العام عملية موضوعية و تقترب من الواقع.

و مثال ذلك: نطرح سؤالك ما رأيك في إلغاء عقوبة الإعدام من التشريع الجزائري، نحاول من خلال هذا السؤال أن نعرف توجه الرأي العام الجزائري من خلال عملية سبر الآراء.

* ***المسح الاجتماعي***:

و هو نوع من الدراسات المسحية يرتكز على الدراسة العلمية لظروف المجتمع و حاجاته يقصد الحصول على بيانات و معلومات تتعلق بالظاهرة المدروسة و القيام بتحليلها و تفسيرها للوصول إلى تعميمات بشأنها.

من خلال ذلك نلاحظ أن الدراسة المسحية الاجتماعية تستهدف دراسة ظاهرة أو مشكلة اجتماعية معينة في منطقة معينة من أجل الوصول إلى حلول بشأن الظاهرة المدروسة.

و مثال ذلك دراسة ظاهرة الفقر في المجتمع معين، أو ظاهرة استهلاك المخدرات و ترويجها...الخ.

إذن من خلال ذلك فالمسح الاجتماعي قد يعالج مشكلة مرضية في المجتمع، و يحاول الباحث أن يعالجها معالجة إصلاح بمعنى محاولة النهوض بالأوضاع القائمة، و وضع خطة أو برنامج للإصلاح.

و قد يكون هذا المنهج شاملا لجميع أفراد المجتمع و تكون هذه الحالة أمام المسح الاجتماعي الشامل، و قد يكون لعدد محدود و نكون في هذه الحالة أمام المسح بطريقة العينة.

من خلال ذلك، فإن المسح الاجتماعي يحقق فوائد كبيرة في مجال عمليات التخطيط الذي ترتكز عليه السياسة العامة للدولة التي تستهدف تطوير الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و تنميتها في فترة زمنية معينة بالإضافة إلى ذلك فإن المسح الاجتماعي يستفاد به في دراسة الخصائص السكانية و الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية لجماعة من الجماعات للتعرف على القدرة الشرائية لأفراد المجتمع و مدى تأثيرها و تأثرها بالوضع الاقتصادي و الاجتماعي...الخ.

المحاضرة الثامنة : منهج دراسة الحالة

يعتبر منهج دراسة الحالة أحد المناهج الوصفية التي تعنى بدراسة وحدة من وحدات المجتمع دراسة تفصيلية من مختلف جوانبها، و ذلك من أجل الوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات و من خلال ذلك فإن هذا المنهج يتميز بالتعمق في دراسة وحدة معينة سواء كانت هذه الوحدة فردا أو قبيلة أو قرية أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما، يهدف إلى جمع البيانات و المعطيات و المعلومات المفصلة عن الوضع القائم المتعلق بالوحدة المدروسة و تاريخها و علاقاتها بالبيئة و تحليل نتائجها بهدف الوصول إلى تعميمات يمكن تطبيقها على غيرها من الوحدات المتشابهة في المجتمع الذي تنتمي إليه هذه الوحدة أو الحالة، غير أنه يشترط أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذي يراد الحكم عليه.

من خلال التعريف الذي تطرقنا له يمكن أن نستنتج:

مميزات منهج دراسة الحالة:

1- يهدف هذا المنهج إلى الحصول على معلومات شاملة و مفصلة عن الحالة المدروسة.

2- القيام بدراسة متعمقة للحالة المدروسة.

3- القيام بدراسة الحالة المدروسة من حيث متابعة تطورها تاريخيا و حاليا، و هذا ما يميز منهج دراسة الحالة عن منهج الدراسات المسحية.

خطوات منهج دراسة الحالة:

يمكن إجمال خطوات منهج دراسة الحالة فيما يلي:

1- القيام بتحديد المشكلة و اختيار الحالة موضوع الدراسة.

2- القيام بجمع البيانات و المعلومات الضرورية لفهم الحالة المدروسة، و ذلك عن طريق الاستعانة بأدوات البحث العلمي كالاستبيان و المقابلة.

3- تحديد الفرضيات

4- القيام بمسايرة الحالة من أجل الوصول إلى مختلف التطورات المتعلقة بها.

5- الوصول إلى استخلاص النتائج المتعلقة بالحالة المدروسة و وضع التعميمات على بقية الحالات الأخرى.

استخدام منهج دراسة الحالة في مجال العلوم القانونية:

يستخدم منهج دراسة الحالة في مجال العلوم القانونية، و يظهر ذلك بصفة خاصة في مجال العلوم الجنائية فمثلا من أجل معرفة الدوافع الإجرامية، فإنه يتوجب على الباحث التعمق في دراسة الحالة من أجل تفسير السلوك الإجرامي خاصة مع التطور المذهل للظاهرة الإجرامية و ظهور أنماط لم تكن معروفة في السابق.

و هذا يتطلب دراسات قانونية متخصصة و معمقة و كل ذلك من أجل الوصول إلى وضع تشريعات و قواعد تواجه هذه الظواهر الجديدة، و هذا بطبيعة الحالة بالاشتراك مع الباحثين من مختلف التخصصات.

المحاضرة التاسعة: المسح الاجتماعي

تتعدد تعاريف المسح الاجتماعي وتختلف باختلاف الفلسفات العلمية التي ترتبط بجمع البيانات وتحليلها والأهداف المرجوة منها، فهناك من يعرف المسح الاجتماعي "محاولة منظمة لتحليل وتأويل وتسجيل الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو لجماعة أو لمنطقة، والمسح يركز على قطاع عرضي من الحاضر ولفترة من الزمن كافية للدراسة والهدف منه الحصول على مجموعات من البيانات المصنفة وتأويلها والتعميم انطلاقا منها، كل ذلك بهدف ترشيد التطبيق العملي في المستقبل القريب". كما عرفه عدد من العلماء على أنه[1]:

- تعريف يولين يونج: إن المسح الاجتماعي هو عبارة عن دراسة للجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة في منطقة جغرافية محدودة وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنموذج وذلك قصد تقديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي.
- هويتني: يرى بأن المسح الاجتماعي محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعية أو جماعية أو بيئة معينة وهو ينصب على الوقت الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة، كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتصميمها وذلك للاستفادة منها في المستقبل وخاصة في الأغراض العلمية.
- كامبل: محاولة لجمع البيانات بطريقة منظمة سواء من جمهور معين أو عينة منه باستخدام المقابلات أو أي أداة أخرى من أدوات البحث.
- أرمان كوفليه: طريقة أكثر تعمقاً في البحث الاجتماعي.
- محسن عبد الحميد أحمد: استقصاء في تكوين ونشاط وظروف ومعيشة جماعة من الناس في مكان وزمان معينين.

[1] ضاهر كلالدة، أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الإدارية، دار النشر لزهران، سنة 1997، ص 124.

ويمكننا القول أن المسح الاجتماعي ما هو إلا تعداد إحصائي لقياس الواقع بلحظة زمنية معينة، والمقارنة ما بين المسوح وإدخال المتغيرات في طريقة البحث تعتمد طرائق أخرى في التحليل ورصد أبعاد التغير الاجتماعي.

الخصائص الأساسية لعملية المسح الاجتماعي:

- لا يعتبر المسح الاجتماعي منهجا من مناهج العلوم بل إنه طريقة من طرق البحث الاجتماعي.
- توجه طريقة المسح الاجتماعي لدراسة الظواهر الاجتماعية بمجتمع ما في مكان وزمان معينين.
- تتميز طريقة المسح الاجتماعي بأنها تدرس الظاهرة الاجتماعية بأبعادها المختلفة أي بكل تشعباتها وتشابكها، والمجتمع مثل: دراسة أثر الكهرباء في عملية التغيير وكل قطاع من قطاعات المجتمع التعليمية والزراعية والصناعية والترويحية وصولا إلى الفكرية[2].
- المسح الاجتماعي عملية هادفة ترمي إلى تحقيق أهداف محدودة من ذهن الباحث.
- المسح الاجتماعي لا يعتمد على وسيلة واحدة من وسائل جمع البيانات بل يستخدم العديد من الوسائل والأدوات التي قد تشمل الخبرة الشخصية، الملاحظة البسيطة والمنظمة، الاستبيان والمقابلة الشخصية والاختبارات بأنواعها المختلفة.
- ليس بمجرد حصر لما هو قائم بالفعل ولكنه عملية تحليلية من حيث الوقوف على الظروف المحيطة بالعملية والعناصر الأساسية أو الداخلية أو المساعدة التي يترتب على وجودها أو امتناعها تغير في النتيجة[3].

أهم المجالات التي يمكن للباحث أن يلجأ فيها للاستعانة بطريقة المسح الاجتماعي:

- نستخدم طريقة المسح الاجتماعي إذا كان موضوع البحث في الحاضر.
- نستخدم هذه الطريقة في البحث إذا أردنا أن نلقي صورة عرضية عن واقع المجتمع سواء أكان في مجتمع الريف أو المدينة.
- نستخدم طريقة المسح الاجتماعي إذا أردنا أن ندرس الاتجاهات والاعتقادات السائدة في مجتمع ما.

---

[2] ضاهر كلالدة، نفس المرجع السابق، ص 124.

[3] محمد الأزهر سعيد السماك، طرق البحث العلمي، بيروت: دار الأمل، 1998، ص 129.

نستخدم هذه الطريقة في المقارنة بين حال وحال في التغير الاجتماعي، مثلا نبين الآثار المترتبة على دخول الكهرباء في مقارنة نتائج المسحيين الاجتماعيين على جوانب قطاعات المجتمع كافة.

- عند دراسة المؤسسات والمشاكل الاجتماعية وقضايا المعوقين فندرس البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي أحدثت وأوجدت الظروف المترتبة لحدوث العجز[4].

[4] إخلاص محمد عبد الحفيظ، طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوي والنفسية والرياضية، مركز الكتاب للنشر، 2000

خطوات المسح الاجتماعي[5]:

(1) تحديد مجتمع البحث: أي مجموع المفردات أو الوحدات التي تجمعها صفة واحدة أو مجموعة من الصفات المشتركة.

(2) تصميم استمارة إستبانة لجمع البيانات: التي تشمل على مجموعة من الأسئلة المحتاجة إلى إجابات عنها من وحدات مجتمع البحث لكي تحقق الغرض الذي يسعى إله الباحث.

(3) تحديد خطة الدراسة: تجمع البيانات لهذا المنهج من تجمع وحدات أو مفردات البحث ويطلق على ذلك (الحصر الشامل) بعض وحدات أو مفردات مجتمع البحث أي أخذ عينة من المجتمع الشامل ويطلق على ذلك أسلوب (العينة).

(4) جمع البيانات والمعلومات: وذلك من خلال تحديد مسارات جمع البيانات الميدانية والقيام بالمقابلات والزيارات الميدانية أو الإرسال البريدي لاستمارات الإستبانة ومراجعة البيانات المجمعة للتحقق من مدى صحتها وصلاحيتها للبحث.

(5) عرض النتائج وكتابة التقارير: وذلك من خلال تسجيل النتائج المتوصل إليها وتحديد مدى التعميم من النتائج إلى مواقف مشابهة لموضوع الدراسة وتسجيل النتائج بما يساير الخطوات المستخدمة في الوصول إليها، فالنتائج ما هي إلا حصيلة للعمليات والإجراءات والافتراضات التي يبني عليها الباحث دراسته.

(6) قم بجمع البيانات وتحليلها باستخدام أدوات التحليل الإحصائي المناسبة

وأيضا خطوات إجراء المسح الاجتماعي:

(1) التخطيط الواعي لموضوع الدراسة.

(2) تحديد الأهداف العامة والخاصة بالمسح وتحديد نوع المسح المراد تطبيقه

(3) اختيار العينة التي سيجري عليها الباحث المسح.

(4) تحديد الوسيلة أو عدد الوسائل التي سيتم من خلالها جمع البيانات.

[5] عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم النفسية والتربوية، مصر: دار النمير، 2006، ص 126-127.

أهمية المسح الاجتماعي في إعداد البحوث الاجتماعية:

لا يزال الخلاف قائم بين المختصين في العلوم الاجتماعية حول أهمية المسح الاجتماعي[6]. فالبعض يرى بأن المعلومات التي يتم الحصول عليها وجمعها من خلال المسح الاجتماعي معلومات لا قيمة لها وقليلة الأهمية بالنسبة للبحوث الاجتماعية. فيما يرى فريق آخر أنه بالإمكان اعتبار المسح الاجتماعي الطريقة الوحيدة التي يمكن لعالم الاجتماع جمع البيانات الموثوق بها. وعلى الرغم من هذا الاختلاف والتباين في وجهات النظر بين الاجتماعيين حول أهمية المسح الاجتماعي فإن ذلك يكون تبعاً لدقة النتائج والتحليل الذي ينجز عند إتباع هذه الطريقة.

فإن للمسح فائدة نظرية حيث يلجأ إليها الباحث بعد أن أجريت بحوث على الظاهرة، ويستفاد من البحوث المسحية في إعداد الخطة على مستوى الدولة في التعرف على رغبات وميول أفراد وجماعات المجتمع

[6] محمد الأزهر سعيد السماك، مرجع سبق ذكره، ص 129-130.

واحتياجاتهم، ويستفاد منه في الدراسات الاجتماعية القائمة وتحديد المدى وتأثيرها على المجتمع وتقدير مدى معرفة الأفراد بهذه المشكلات ومعرفة الإمكانيات المتوقعة لحل هذه المشاكل.

أنواع المسح الاجتماعي:

- منهم من يعتمد على طبيعة الدراسة لتحديد أنواع المسح تبعاً لذلك نجد هناك مسحاً وصفيا وآخر تحليلياً.
- بالنسبة لشمولية الدراسة فهناك المسوح العامة والخاصة، أما تقسيم المسح الاجتماعي بالرجوع إلى الجغرافية للبحث فإنه يفرز أنواعاً ترتبط بمكان الدراسة سواء أكان في دولة أو إقليم أو عدة دول أو قرية أو مدينة.
- إن تصنيف أنواع المسوح يمكن أن يعتمد على عدة محاور ترتبط في أحد جوانبها بتعريفنا للمسح وتتلخص تلك المحاور بما يلي:

(1) المكان: الذي تجري فيه أو المجال الذي تهتم به كالمسوح الريفية ومسوح المدينة.

(2) الزمان: كأن يكون في أزمنة متباينة لقياس أبعاد التغير الاجتماعي، كبحث كهربة الريف (صورة الواقع الاجتماعي قبل إدخال الكهرباء إلى الريف).

(3) حسب الشمول: كأن يكون المسح لظاهرة واحدة أو لعدة ظواهر اجتماعية في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات.

(4) حسب الأهداف المراد تحقيقها: فقد ترمي أهداف البحث إلى مزيد من الترابط بين المسح الاجتماعي والخطة الشاملة أو تتناول دراسة التعليم مثلا مدى مواءمته لخطة التنمية أو دراسة الواقع الصناعي.

أدوات البحث المستخدمة في المسح الاجتماعي:

- يستعين القائم بالمسح الاجتماعي بمعظم الأدوات المستخدمة في البحوث الاجتماعية.
- يتوقف اختياره للأداة على (موضوع الدراسة، وخطة المسح، ومداه، ونوع المعلومات المطلوبة).

- من أكثر الأدوات شيوعاً في المسح الاجتماعي (الملاحظة – المقابلة – الإستبيان)[7].

تنقسم أهداف المسوح الاجتماعية إلى:

(1) مسوح وصفية.
(2) مسوح تفسيرية.

أما من حيث الحجم في المسوح الاجتماعية فإنه إما أن يكون:

(1) مسح شامل
(2) مسح بالعينة[8]

تشتمل العينة الدراسات المسحية على:

(1) المسح التربوي المدرسي وطريقة تحليل العمل.
(2) الدراسات المسحية للرأي العام.
(3) مسح السوق.
(4) المسح الاجتماعي.

[7] رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي (أساسياته النظرية وممارسته العملية) دار الفكر المعاصر، 2000
[8] www.alyaseer.net

مجالات المسوح الاجتماعية:

(1) دراسة الخصائص الديمغرافية لمجموعة من الناس وتشمل الدراسة معرفة حال الأسرة من ناحية (عدد الأبناء – السن – درجة الخصوبة – وغيرها من المعلومات السكانية).

(2) دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لجماعة من الجماعات، ويشمل ذلك معرفة (دخل الأفراد، مستويات المعيشة، دراسة أوجه النشاط المختلفة، مدى الإقبال على برامج الإذاعة والتلفزيون والتردد على الأندية، الجرائد والمجلات التي يقرؤونها).

(3) دراسة الجوانب الثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد والمعايير السلوكية.

(4) دراسة آراء الناس واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم.

يفضل استخدام المنهج المسحي الاجتماعي في الحالات التالية:

- عندما يكون حجم مجتمع البحث كبيراً.
- عندما يكون الهدف الحصول على بيانات يمكن تكميمها (تحويلها إلى بيانات كمية).
- عندما تكون المعلومات محددة ومألوفة لدى المبحثين.
- عن وصف مجتمع البحث ببيان خصائصه ومكوناته المختلفة مثل الخصائص النوعية والتعليمية والاقتصادية، واختبار الفروض المبدئية والسببية والخروج بتعميمات يمكن أن تساهم في حلول بعض المشاكل الاجتماعية والتنبؤ بالظروف المستقبلية.
- تستخدم المسوح الاجتماعية في دراسات الجدوى عند خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بإجراء مسوح قبل بدء المشروع ومسوح دورية تقييمية بعد إكتمال المشروع المكشف عن فعاليته وتحقيقه الأهداف[9].

أوجه الاختلاف بين المنهج المسحي والمناهج البحثية:

- يختلف المنهج المسحي عن المناهج البحثية الأخرى بما يلي:

(1) يختلف المنهج المسحي عن المنهج التاريخي في أن المسح يركز بينما تركز الدراسات التاريخية على الماضي وأحداثه وما على الحاضر تتركه من آثار على الحاضر.

[9] صلاح مراد، طرائق البحث العلمي، تصميماتها وإجراءاتها، دار الكتاب الحديث، 2001

(2) يتميز المنهج المسحي عن المنهج التجريبي في أن المسح يدرس الظروف كما هي عليه في الواقع ولا يتدخل فيها بينما تجري المنهج مسيرة الأحداث التجريبي في المختبر، كما يهتم التجريب في دراسة الظواهر بحثاً عن الأسباب والتعرف على العوامل التي تؤثر فيها.

(3) يختلف المسح عن المنهج دراسة الحالة في جانبين حيث تتميز دراسة الحالة بالتعمق في دراسة وحدة دراسة تفصيلية.

- أما الدراسات المسحية فتدرس مجال أوسع أو عدد أكبر من الوحدات ولكن أقل عمقاً.
- يتدخل في الدراسات المسحية أو البحث العلمي المختلفة للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة مثل الاستبيان والمقابلة وهي أكثرها شيوعاً، التي يعدها العاملون عن نشاطاتهم ودراساتهم الوظيفة اليومية والدورية.

مزايا المسح الاجتماعي:

- لعل الميزة الكبرى في المسح الاجتماعي والتي لا يجاريه فيها أي منهج آخر هي في تجميع قدر هائل من البيانات من أفراد متوزعين في مناطق متباعدة مما لا يتيسر ذلك في غيره.
- تعتبر تكلفة إجراء المسوح (باستخدام الاستبيان البريدي بشكل خاص) منخفضة التكاليف إلى حد ما.
- إمكانية تعميم نتائج المسح عالية بسبب كبر حجم العينة عادة.
- أنه لا يكتفي بأداة واحدة في جمع البيانات وإنما يستعين بمعظم الأدوات المستخدمة في البحوث الاجتماعية وأهمها المقابلة، الملاحظة، الاستبيان، تحليل المحتوى.
- توفر كثير من الجهد والوقت والمال إذا أحسن استخدام المنهج[10].

عيوب المسح الاجتماعي:

- يسعى المسح إلى وصف أو تفسير ظواهر واقعية في فترة زمنية يعيشها الباحث ولذلك فإنه لا يناسب الدراسات التي تسعى إلى معرفة التطور التاريخي لمجتمع من المجتمعات.
- من أهم عيوب المسح الاجتماعي الخطأ الذي يقع فيه الباحث أثناء اختيار العينة وكذلك خطأ التحيز سواء كان تحيزاً من قبل الباحث أو المبحوث.

[10] محمد عبيدات، مناهج البحث العلمي وأساليبه، دار مجدلاوي، 1997.

- ضخامة الجهود والنفقات والخبرات الفنية التي يطلبها المسح.
- تعتبر الدراسات المسحية سطحية في وصفها لسلوك وتوجهات التجمعات كبيرة الحجم، وقلما تستطيع النفاذ لجمع بيانات متعمقة من المبحثين.
- عدم قدرة الباحث في بعض الأحيان على الحصول على الاستجابات من جميع المبحثين، مما يثير قضية مدى اختلاف مواقف واتجاهات من لا يستجيبوا للاستبيان البريدي مثل عن مواقف واتجاهات من استجابوا فعلا والذين قد يكون لهم دافع خاص للاستجابة.
- الدراسات المسحية لا تستطيع من حيث المبدأ النفاذ إلى العلاقات السببية لافتقارها إلى التحكم في المتغير المستقل من جانب الباحث.
- بالرغم من فوائد المسح الكثيرة إلا أنه محدود في مدى الاعتماد عليه للأسباب التالية:
  - لجمع بيانات كمية عن بيئة من البيئات لابد من توجيه عدد كبير من الأسئلة للمبحثين.
  - تتوقف أهمية المسح الاجتماعي على عدد أفراد العينة.
  - نظراً لأن المسح الاجتماعي يرتكز على دراسة الحاضر فإنه لا يصلح في الدراسات التطورية التي تعتمد على الربط بين الماضي والحاضر[11] .

المحاضرة العاشرة : المنهج الإحصائي

[11] مواقع الأنترنت:
www.kaau.org
www.3poil.net

قد يتساءل البعض عن علاقة الإحصاء بمجال العلوم القانونية خصوصا و العلوم الاجتماعية عموما، إلا أن الجواب هو أهمية استخدام الإحصاء في هذه المجالات، فقد بدأ يتسع مجال استخدامه بل أصبح المنهج الإحصائي أحد المناهج المهمة في مجال العلوم الاجتماعية.

إن استخدام المنهج الإحصائي في مجال العلوم الاجتماعية أضفى الصبغة العلمية على الدراسات و الأبحاث الاجتماعية و أكسبها الدقة و المصداقية و الموضوعية و الحقيقة أن العلاقة بين العلوم الاجتماعية و بين العلوم الرياضية عموما و الإحصاء خصوصا يرجع إلى العهد الإغريقي، حيث كان الفيثاغوريين يستخدمون الإحصاء في بحوثهم، وقد استخدمه عالم الاجتماع " إميل دوركايم" في دراساته على ظاهرة الانتحار، كما استخدمه "روسو" في أبحاثه الاجتماعية.

تعريف المنهج الإحصائي:

يتكون المنهج الإحصائي من كلمتين: المنهج و الإحصاء أما المنهج فقد تطرقنا له في الأول، و أما الإحصاء فله تعريف لغوي و تعريف اصطلاحي.

أما التعريف اللغوي، فإن كلمة إحصاء مشتقة من كلمة "أحصى"، فنقول أحصى الشيء أي عده و ضبطه.

أما التعريف الاصطلاحي، فهو علم يتركز على تجميع الظواهر و الوقائع و الأشياء و تنسيقها على نحو يؤدي إلى علاقات عددية ثابتة تمكن الباحث من التكهن بالمستقبل.

إذن، من خلال ذلك، فإن علم الإحصاء هو علم و فرع من فروع الرياضيات، وهو يعتمد على الجداول و البيانات و عرضها و تحليلها رياضيا، و إذا كان هذا هو علم الإحصاء، فإن المنهج الإحصائي هو تلك الطريقة العلمية التي تعتمد على الكم، و التي يتبعها الباحث معتمدا في ذلك على خطوات معينة تقوم على جمع المعلومات و البيانات تتعلق بظاهرة معينة و تحليل رياضي من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة و علمية بشأن الظاهرة المدروسة.

من خلال ذلك فإن المنهج الإحصائي يتميز بأنه

- يعتمد على الكم في تفسير الظواهر الاجتماعية.
- يعتمد على لغة الأرقام

- يعتمد على الإستقراء في تحليل الظاهرة الاجتماعية حيث ينطلق من الجزء نحو الكل، و يظهر ذلك على طريقة سبر الآراء

خطوات المنهج الإحصائي:

تتمثل خطوات المنهج الإحصائي فيما يلي:

1- تحليل الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة

2- القيام بجمع البيانات و المعلومات المتعلقة بالظاهرة

3- ترجمة هذه البيانات و المعلومات في شكل جدول أو منحنيات بيانية.

4- تصنيف البيانات

5- القيام بتحليل هذه البيانات و المعلومات انطلاقا من الجداول أو المنحنيات البيانية

6- الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم.

1)- تحديد الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة:

و هذه هي الخطوة الأولى التي يبدأ بها الباحث دراسته وتعتبر الخطوة الأولى في جميع مناهج البحث العلمي.

2)- القيام بجمع البيانات و المعلومات المتعلقة بالظاهرة:

بعد أن يقوم الباحث بتحديد الظاهرة الاجتماعية، يشرع في جمع البيانات المتعلقة بموضوع البحث والدراسة و يعتمد في ذلك على بعض أدوات البحث العلمي كالمقابلات و سبر الآراء و الاستبيان.

3)- ترجمة هذه البيانات و المعلومات في شكل جداول أو منحنيات بيانية:

حيث يقوم الباحث في هذه الحالة بوضع رسوم بيانية انطلاقا من المعلومات و البيانات التي بحوزته وقد تكون هذه الرسوم في شكل جداول أو منحنيات أو مدرجات تكرارية أو دوائر نسبية....الخ.

4)- تصنيف البيانات:

حيث يقوم الباحث بتنظيمها و تبويبها

5)- الوصول إلى نتائج قابلة للتعميم:

و هذه هي الخطوة الأخيرة التي تشكل هدفا منشودا للباحث، و هدف الباحث من استعماله للمنهج الإحصائي هو الوصول إلى نتائج دقيقة حول الظاهرة المدروسة.

استخدام المنهج الإحصائي في مجال العلوم القانونية:

يمكن أن تستخدم كل فروع العلوم القانونية المنهج الإحصائي في البحوث القانونية، و هذا انطلاقا من أن هذه العلوم جزء لا يتجزأ من العلوم الاجتماعية التي أصبحت تعتبر المنهج الإحصائي وسيلة لإضفاء الدقة على البحوث و الدراسات ففي مجال القانون الدستوري و بالضبط في مجال عمليات الانتخابات، فإن عملية الإحصاء تعتبر هي الوسيلة الأولى التي لا يمكن التخلي عليها في إضفاء طابع الدقة على عملية الانتخابات و ذلك بوضع جداول و أعمدة بيانية و دوائر نسبية من أجل معرفة عدد المشاركين وعدد الأصوات المقبولة و عدد الأصوات الملغاة و من أجل معرفة المترشح الفائز في العملية الانتخابية.

المحاضرة الحادي عشر مفهوم الاقتراب

أولا: عند ايستون

شهد حقل العلوم السياسية تطوراً كبيراً في أعقاب الحرب العالمية الثانية عجزت معه العلوم السياسية بمناهجها التقليدية عن استيعابه والإحاطة بمختلف الظواهر السياسية الجديدة المصاحبة له، مما أدى إلى تطوير مناهج البحث في هذا الفرع من أفرع العلوم الاجتماعية، بل واستحداث اقترابات ومناهج أخرى جديدة أكثر قدرة على فهم هذه الظواهر والإحاطة بها.

لقد كان اقتراب التحليل النظمي أحد أهم هذه الاقترابات المستحدثة في نطاق الدراسات السياسية وغيرهم "التي ظهرت في منتصف الخمسينيات، من خلال علماء الاجتماع من أمثالبارسونز وهومانز الذين قاموا بتطوير مفهوم النظام الاجتماعي، ومن خلالهم تمكن عدد لا بأس به من علماء السياسة من أمثال ايستون وكولمان من تطوير واستخدام اقتراب النظم في الدراسات السياسية.

يرجع الفضل الأول في إدخال و تطوير اقتراب التحليل النظمي إلى حقل العلوم السياسية إلى عالم السياسة الأمريكي ديفيد ايستون . جاء تطوير ايستون لاقتراب تحليل النظم في علم السياسة تدريجياً الذي وعلى مراحل. ففي عام 1953، نشر اللبنات الأولى لمفهوم"النظام السياسي" في كتابه يرى فيه ايستون وجوب تبسيط الحياة السياسية المعقدة المركبة، والنظر إليها تحليلياً على أساس آلي منطقي على أنها مجموعة من التفاعلات التي تتم في إطار النظام السياسي من ناحية، وبينه وبين بيئته من ناحية أخرى. فوفقاً لاقتراب النظم، تميل المجتمعات والجماعات إلى أن تكون كيانات مستمرة نسبياً تعمل في إطار بيئة أشمل.

يؤكد ايستون أن فكرة النظم كإطار تحليل بما تتضمنه من علاقات ومفاهيم نظرية لها دلالات تطبيقية، ومن ثم فهي تمثل نقطة بداية حقيقية في تطوير الدراسات السياسية. هذا الإطار التحليلي للنظام السياسي في أبسط صوره كما يراه ايستون لا يعدو أن يكون دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات السياسية الموجهة بصفة أساسية نحو التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع. تبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات، وتقوم عملية التغذية الاسترجاعية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية، أي بين المدخلات والمخرجات. ويوضح الشكل التالي نموذجاً مبسطاً لتفاعلات النظام السياسي كما قدمه ايستون.

المفاهيم الأساسية لاقتراب التحليل النظمي:

أهم هذه المفاهيم هي : النظام، البيئة، الحدود، المدخلات، المخرجات، التحويل، التغذية الاسترجاعية.

النظام:

يمثل النظام وحدة التحليل الرئيسية في اقتراب التحليل النظمي. ويعرف النظام بصفة عامة بأنه مجموعة من العناصر المتفاعلة والمترابطة وظيفياً مع بعضها البعض بشكل منتظم، و كل تغيير في أحد العناصر المكونة للنظام يؤثر على بقية العناصر. وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم يتولد عنه مفهوم آخر النظام قد يعتبر نظاماً في حد ذاته و قد هو ذاته نظاما النظام الفرعي.

يعرف النظام السياسي بأنه مجموعة من التفاعلات السياسية التي تحدث داخل أي مجتمع، والتي يتم بمقتضاها صنع السياسات العامة. ويتكون النظام السياسي من أربعة عناصر أساسية هي: المدخلات، .التحويل، المخرجات، التغذية العكسية .

البيئة:

تشكل البيئة كل ما هو خارج إطار النظام السياسي ولا يدخل في مكوناته. فالنظام السياسي يتأثر ببيئته من خلال مجموعة المدخلات ويؤثر عليها من خلال مجموعة المخرجات.

الحدود:

هناك حدود للنظام السياسي يمكن تمييزها تحليلياً تفصله عن المحيط أو البيئة بمختلف جوانبها، وإن كان هذا لا يعني إلغاء علاقات التأثير بين النظام السياسي وبيئته الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية.. الخ التي تتم عبر الحدود.

المدخلات:

تشتمل مدخلات النظام السياسي وفقاً لاقتراب التحليل النسقي على كل ما يتلقاه هذا النظام من بيئته. يلاحظ أن هناك ثمة اختلافات حول هذه المدخلات. فطبقاً لرأي دافيد ايستون تشتمل مدخلات النظام السياسي على عنصرين رئيسيين فقط هما المطلب والتأييد. تشير الأولى إلى الرغبات الاجتماعية، خاصة تلك المتعلقة منها بكيفية توزيع القيم وتحقيق أهداف المجتمع، وهي في رأيه قد تكون عامة كما قد تكون محددة. وقد يكون التعبير عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وتشير الثانية إلى الاتجاهات والمواقف سواء المؤيد منها أو المعارض للنظام.

المخرجات:

عرفها ايستون بأنها مجموعة القرارات والأفعال والتصرفات التي يقوم بها النظام وتكون لها الصفة الإلزامية . ميز الموند وباول ثلاثة وظائف رئيسية على مستوى المخرجات هي :

وظيفة صنع القرار وضع السياسات واتخاذ القرارات: ويتم ذلك من خلال السلطة التشريعية بالأساس

وظيفة تنفيذ القواعد بما يعنيه ذلك من تطبيق القواعد والقرارات، ويتم ذلك بواسطة الجهاز الإداري والسلطة التنفيذية.

وظيفة التقاضي حول القواعد الملزمة في حالة التنازع.

التحويل:

تتمثل هذه العملية في مجموعة الأنشطة والتفاعلات التي يقوم بها النظام ويحول عن طريقها مدخلاته من موارد ومطالب وتأييد إلى مخرجات، أي قرارات وسياسات تصدر عن أبنية النظام السياسي.

التحويل هو بمثابة غربلة للمدخلات. وعلى عكس مفهومي المدخلات والمخرجات اللذان يمثلان عمليات تبادلية بين النظام السياسي من جهة وبيئته المحيطة من جهة أخرى، فإن عملية التحويل لا تعدو أن تكون عملية داخلية تتم في إطار النظام ذاته.

التغذية استرجاعية: Feedback

يقصد بها كافة عمليات التأثير الاسترجاعي للمخرجات على المدخلات، ويتم ذلك من خلال ما تحدثه المخرجات على البيئة من آثار سلباً أو إيجاباً ويكون لها تأثيرها في ذات الوقت على المدخلات.

بعبارة أخرى، التغذية الاسترجاعية هي عملية يتم بمقتضاها تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام السياسي من جديد في شكل مدخلات عن نتائج قراراته وأفعاله. التغذية الاسترجعاية بهذا المعنى تربط مدخلات النظام السياسي بمخرجاته، ومخرجاته بمدخلاته، وتعطي في ذات الوقت الطابع الديناميكي المستمر للنظام.

وتجدر الإشارة إلى أنه وفقاً لنموذج ايستون لتحليل النظم، فإن التغذية الاسترجاعية تمثل عملية هامة وحيوية لبقاء النظام واستمراره. إن علم النظام بمدى الاستجابة لقراراته وسياساته يجعله قادراً إما على المضي في طريقه بانتهاج نفس السياسة أو تعديلها، أو حتى التخلي عنها كلية، وهو ما يسميه ايستون بالتغذية الاسترجاعية الفعالة التي تضمن الاستجابة الفعالة للنظام، وإلا تعرض وجوده للخطر حال افتقادها.

بعد هذه النبذة عن أهم المفاهيم في اطار اقتراب التحليل النظمي، تجدر الإشارة إلى أن هناك ثمة فبعض هذه المفاهيم يوضح الخطوط العريضة لأبنية وحركة النظم مثل .مجموعة من المفاهيم الأخرى وصف النظام بأنه مغلق أو مفتوح. ومنها ما يدور حول المستوى الهيراركي مثل النظام الفرعي. ومنها ما يتناول جوانب التنظيم الداخل للنظم مثل مفاهيم التكامل، والاعتماد المتبادل، والتكيف، والتعلم، والنمو، والتدهور، والأزمة، والانهيار، والحمل المتعدي. كما أن منها كذلك مفاهيم تتبلور حول ضبط .وتنظيم وبقاء النظام مثل مفهومي الاستقرار والتوازن

الفروض الأساسية التي يرتكز عليها الاقتراب

يرتكز اقتراب تحليل النظم كما قدمه ايستون على مجموعة من الافتراضات لعل أهمها

العملية السياسية عملية آلية ديناميكية :

يفترض اقتراب التحليل النظمي أن التفاعلات السياسية بين مكونات النظام المختلفة وبعضها البعض من ناحية، وبينها وبين معطيات البيئة المحيطة تتم بصورة آلية ديناميكية. هذه الآلية والديناميكية تحكم عملية تحليل النظام السياسي وتوجهها. بعبارة أخرى، يبرز اقتراب تحليل النظم كما قدمه ايستون الطابع الديناميكي الحركي للنظام السياسي من خلال التأكيد على التفاعل بين النظام بأنظمته الفرعية والبيئية بأنظمتها المختلفة.

النظام السياسي نظام مفتوح يؤثر ويتأثر بالأنظمة الأخرى :

نقطة البداية في التحليل النظري لدى ايستون تفترض أن التفاعلات السياسية في إطار النظام السياسي تتم استجابة للتأثيرات البيئة. النظام السياسي بطبيعته كنظام اجتماعي قد فصل تحليلياً عن الأنظمة الاجتماعية الأخرى المشكلة للبيئة، إن ما يجعل تحديد هذه البيئة بمختلف مكوناتها أمر هام حيوي هو الافتراض الذي ينظر إلى الحياة السياسية على أنها تشكل نظام مفتوح عرضة للتأثر بالبيئة المحيطة، وإن كان هو الآخر يؤثر فيها بدوره. وطالما أن الحياة السياسية تفهم على أنها نظام مفتوح، فإن المطالب، كما يرى ايستون، تقدم لنا أحد المفاتيح الرئيسية لفهم الطرق التي من خلالها تحدث البيئة الكلية انطباعها على عمليات النظام وعلى مخرجاته.

النظام يقوم بمجموعة من الوظائف لا بد منها لاستمراره :

إن ما يعطي قيمة للدراسة التحليلية للحياة السياسية كنظام سلوكي كما ينظر إليه اقتراب تحليل النظم هو التساؤل الذي يثور حول كيف أن الأنظمة السياسية تستمر في عالم يتضمن عناصر التغير كما

يتضمن عناصر الاستقرار. يقول ايستون أن محاولة الإجابة على هذا التساؤل كشفت ما أسماه"دورة حياة الأنظمة السياسية"، والتي تتبلور حول مجموعة من الوظائف الهامة والحيوية التي بدونها لا يستطيع أي نظام سياسي أن يستمر وأن يحافظ على بقائه.

البيئة تفرض على النظام ضغوطاً :

على الرغم من أن البيئة بمختلف جوانبها تمثل مشكلة تحليلية خطيرة، إلا أن ايستون أكد على أنه يمكن إلى حد كبير تبسيط الأمور فيما يتعلق بتحليل أثر البيئة إذا ما تم تركيز الاهتمام حول مجموعة من المدخلات التي يمكن استخدامها كمؤشرات تلخص المؤثرات الأكثر أهمية من حيث مدى إسهامها في خلق التوتر والضغوط التي تعبر الحدود من البيئة إلى داخل السياسي بالتركيز على مدخلين رئيسيين: المطالب، التأييد.

المطالب تفرض على النظام السياسي إذن ضغوطاً، لا بد له من أن يستجيب لها بصورة أو بأخرى. يرجع ذلك إلى أن عدم اشباع المطالب والرغبات الجماهيرية يترتب عليه تزايد الإحساس بعدم الرضى عن النظام السياسي، ومن ثم يقل الدعم والتأييد له.

الضغوط كمفهوم تشير إلى التأثيرات القادمة من البيئة نحو النظام. وإن كان ايستون يرى أنه ليست كل هذه التأثيرات البيئية تمثل توتراً وضغوطاً على النظام. فبعضها قد يلعب دوراً إيجابياً في استمرار النظام، بينما بعضها الآخر قد يكون محايداً فيما يتعلق بأحداث التواترات والضغوط، إلا أن الغالبية من هذه التأثيرات يتوقع أن تعمل في اتجاه إحداث التوترات والضغوط على النظام.

النظام السياسي نظام تكيفي :

يعتقد ايستون أن القدرة الحقيقية لبعض الأنظمة على الاستقرار والبقاء رغم الضغوط والتوترات غير العادية التي تتعرض لها من بيئاتها يحمل على الاعتقاد في الحقيقية أن هذه الأنظمة تمتلك بالضرورة مقدرات للاستجابة في مواجهة هذه الضغوط والتوترات، وعليه فهو يفترض أن النظام السياسي هو نظام تكيفي ويقوم في الواقع بأكثر من مجرد رد الفعل بصورة سلبية للتأثيرات البيئية.

المحاضرة الثاني عشر :مفهوم النظرية

تمتزج النظريات بحياتنا العامة بشكل كبير حتى أننا لا نكاد نلاحظها، لأننا نطلق عليها مسميات أخرى مثل المعتقدات أو التطورات، بل إن هناك من يطلق عليها مسمى النظرية مثل الأخوة في المجتمع المصري، حيث نجد أحدهم يقول مستفسراً: هي إيه النظرية؟ عند رغبته في التعرف على سبب حدث ما كما أن الأمثلة الشعبية التي نتداولها في حياتنا اليومية ما هي في الواقع إلا نظريات نؤمن بها. فالمثل القائل: "العلم في الصغر كالنقش على الحجر" هو نظرية تختزل الكثير من التجارب الإنسانية التي تراكمت عبر السنين بل الأكثر من ذلك أننا نستخدم نظريات علمية فيزيائية في تفسير وقائع حياتنا الاجتماعية ونأخذ بها كمسلمة من المسلمات مثل نظرية (الضغط يولد الانفجار) فرغم أنها نظرية فيزيائية بحتة إلا أننا نأخذ بها عند تفسيرنا لواقعة من الوقائع الاجتماعية.

وهذا ما يؤدي بنا إلى القول أن للنظرية دور هام وأساسي في حياتنا العامة حيث ترجع أهميتها إلى أنها تعطينا مجالاً أوسع لفهم الظواهر الاجتماعية التي نعايشها يومياً، وكذلك تعطينا القدرة على التنبؤ بسير هذه الظاهرة وما ستصير إليه، وأيضا للنظرية دور هام في العلم أيضا حيث تؤدي عدة وظائف هامة.

التعريف بالنظرية :

- هناك من يعرف النظرية بأنها: "مجموعة من القضايا التقريرية والمنطقية والمجردة والمقبولة والتي تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر".[1]

ويرى "براتويت" بأنها: "مجموعة من الفروض التي تكون نسقاً استنباطياً، بمعنى أنها تنظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق بعض الفروض المتقدمة".[2]

- ويعرف "روبرت ميرتون" النظرية الاجتماعية في علم الاجتماع أنها مجموعة من التصورات المترابطة منطقيا، تلك التصورات المحددة والمتواضعة وليست الشاملة المتضمنة كل شيء، وتأسيسا على هذا التعريف يصعب أن تعتبر المذاهب الفلسفية الكبرى نظريات علمية بالمعنى والمفهوم الذي حدده "ميرتون".
- وهناك من يعرفها بأنها: "مجموعة مفاهيم مرتبطة بشكل متناسق، مكونة قضايا نظرية تهتم بشرح قوانين ظاهرة اجتماعية معينة تمت ملاحظتها بشكل منتظم".

---

[1] علي عبد الرزاق جلبي، الاتجاهات السياسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 24، دون ذكر مكان النشر.
[2] عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع: النشأة والتطوير، بيروت: دار المعرفة الجامعية، 1999، ص :102.

- المطلب الثاني: شروط النظرية
- الإيجاز: يجب أن تكون النظرية موجزة في التعبير عن الحقائق التي تشتمل عليها وفي بيان الغرض الذي وضعت من أجله. 1
- الشمول: يجب أن تشتمل النظرية على جميع الحقائق التي تنطوي عليها وأن تفسر أكبر عدد من الظواهر. 2
- الإنفراد: يجب أن تنفرد النظرية بتفسير الحقائق التي تشتمل عليها، فوجود نظرية أخرى تفسر نفس الحقائق التي تفسرها النظرية الأولى يضعف الأهمية العلمية للنظريتين. 3
- القدرة على التنبؤ: يجب أن تساعد النظرية على التنبؤ لما يحدث للظواهر المختلفة قبل حدوثها، وإذا ظهر أن هذه التنبؤات صحيحة ازدادت قوة ويقيناُ.

خصائص النظرية الاجتماعية

- القابلية للاختبار: فالنظرية التي لا تتوفر فيها هذه الخاصية لا تعتبر نظرية علمية أو ملائمة لتحقيق أهداف العلم وإمكانية التفسير والتنبؤ بواسطتها.
- التجريد: هي إما التفكير أو التأمل ونشاط مختلف عن التطبيق أو الفعل أو حتى مجرد فكرة أو اقتراحات لم يتم اختبارها. 2
- العلاقات بين الاتساق المنطقي بين الأجزاء: حيث أن أهم خصائص النظرية التي يجب مراعاتها في الصياغة، هي نمط العلاقات والاتساق المنطقي بين مكونات النظرية.
- المدى أو النطاق: وذلك يعني مدى الظواهر الاجتماعية التي تتضمنها النظرية، حيث يمكن بعد ذلك تصنيف النظريات الاجتماعية وفق هذه الخاصية التي تميز كل نظرية عن الأخرى.

المطلب الثالث: وظائف النظرية ودورها في العلم.

- **الوظيفة العلمية للنظرية:** حيث تستخدم الأفكار لتمكين الناس من الاستمرار في العمل في بحث ما أو بذل جهد تكنولوجي أو مهني.
- وظيفة الإحياء للبحث والنقض وإرشادهما: حيث هي نافعة في خلق الأبحاث أو تقديم النماذج التي ترشدها، ويمكن تسمية هذه الوظيفة بالوظيفة الإكتشافية.
- الوظيفة الموجهة الشاملة: هي تنظيم ما يبدو بدونها معلومات لا صلة بينها.
-

دور النظرية في العلم:

- أنها تحدد للباحث مجالا للتوجيه يستطيع في ضوئه أن يختار من المعلومات ما يصلح للتجريد.
- أنها تقدم الإطار النظري الذي ينظم ويصنف الظواهر ويعين العلاقات المتبادلة بينها.
- أنها أداة التنبؤ بالظواهر في الظروف التي لم تلمسها من قبل.
- أنها تحدد الثغرات ومواضع النقص في المعرفة.

أشكال النظرية وأهم خصائصها :

أنواع النظريات :

- النظرية التحليلية: وهي تماثل النظريات المنطقية والرياضية تلك التي لا تحدد شيئاً يتعلق بالعلم الواقعي، ولكنها تتشكل من مجموعة من القضايا البديهية التي تكتسب صدقها من خلال التعريف والتي يمكن اشتقاق قضايا أخرى منها.
- النظرية المعيارية: هي التي تحدد مجموعة من الحالات المثالية التي يرغب الإنسان في تحقيقها، ويتعلق هذا النوع من النظريات بالمسائل الأخلاقية والجمالية.
- النظرية العلمية: هي في شكلها النهائي عبارة عن صياغة شاملة، تؤسس علاقة بين نموذجين أو أكثر من الوقائع، وعادة ما تتسم النظرية العلمية بالشمول والعمومية وقدرتها على التنبؤ.
- النظرية السياسية: هي مصطلح يستعمل أحياناً على نحو عام ليشمل دراسة الجوانب العامة والمجردة كافة للسياسة والتحليل السياسي، غير أن المصطلح يستعمل أيضا على نحو أضيق لوصف النظريات السببية التفسيرية في علم السياسة. وتتكون النظرية السياسية في هذا المعنى من نظريات تجريبية والنظم والعمليات السياسية والسلوك السياسي.
- النظرية التاريخية: تتناول النظرية التاريخية تحليل العلاقات الدولية من خلال تتبع يطور المجتمعات في العلاقات الدولية في زمن محدد ومن ثم فمنهجية البحث في هذه النظرية تعتمد على إعادة بناء الأحداث الماضية المدونة في الوثائق لتكون النموذج الذي يفسر من خلاله العلاقات الدولية وعلاقات المجتمعات والشعوب.
- النظرية الواقعية: هي نظرية كبرى في العلاقات الدولية، تحلل العلاقات الدولية من منظور المصالح الوطنية للدول وتتنصل من كل قيد أخلاقي يعوق تحقيق هذه المصالح، وتحدد مضمون المصلحة الوطنية في القوة.
- النظرية السلوكية: هي نظرية كبرى تأسست أفكارها في مجال علم النفس، ثم سحبت على مجالات العلم الأخرى كعلم السياسة والعلاقات الدولية، وهي تركز على دراسة السلوك كشيء كمي يمكن قياسه ولمسه، وذلك من خلال تحليل مظاهره الخارجية.

- نظرية صناعة القرار: هي الدراسة المتفحصة والشاملة لمختلف العناصر التي يجب أن تؤخذ في عين الاعتبار عند تحليل سياسة معينة سواء بشكل عام أو في لحظة معينة.[1]
- النظرية المثالية: تركز منطلقات هذه النظرية على مفهوم الحرية التي تجد جذورها في طبيعة الإنسان المسالمة التي ترفض العنف وتنحو نحو التعاون وتقاسم المصالح، بمعنى آخر، اعتبار الحرية كقاعدة تستند عليها هذه النظرية ليس في تحليل العلاقات بين الأفراد والمجموعات فقط، بل وأيضا بين الدول، انطلاقا من فكرة أن الحالة الطبيعية للمجتمع تتصف بكونها حالة وئام بين أفراد المجتمع.
- النظرية الماركسية: تنطلق هذه النظرية من فكره أنه ليس للعقد الاجتماعي دخل وراء شرعية الدولة وما يقرر هذه الأخيرة هو عامل العلاقات الإنتاجية المرتبطة بالنموذج الاقتصادي الرأسمالي الذي تشيد عليه أسس الدولة القانونية والسياسية.
- النظرية الوظيفية: إن تطور منطلقات هذه النظرية جاءت كنتيجة للصعوبات التي واجهتها دول العالم الثالث لتطبيق نماذج السياسة الغربية في مجتمعاتهم.
- النظرية التفاعلية المتداخلة: تستمد تحليل هذه النظرية لعالم السياسة معطياته من التيار المعروف بالفردية فهي تنطلق من مبدأ أن الإنسان ذو عقلانية نسبية في تصرفه وذلك حسب رأي كل من 'ميشال كروزير' و'إيهرارد فريدبارج' [1]

أركان النظرية:

- المعلومات: إن طبيعة المعلومات هي التي تميز السياسة الدولية عن غيرها من أنواع السياسات وذلك من خلال ما يحدث بين دولتين أو أكثر من الاتصالات الدبلوماسية والحرب والأزمات وغيرها.
- الأدوات: الاهتمام بتحليل الأهداف من أجل تقصي العوامل المؤثرة في الظاهرة السياسية، وكذلك العمل على فحص الظاهرة على عدة مستويات، لا يتم إلا عبر أدوات علمية توظفها النظرية في بناء أفكارها واختبار فرضياتها.

[1] جيمس دورتي، روبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحي، الكويت: كاظمة للنشر والتوزيع، 1985، ص: 307.

[1] George Michel. Fridbeng Ehard. L'auteur et le système, Paris, seuil 1977.

- طرق البحث: تعني مناهج البحث حيث يلتزم بمناهج علمية تتولى جمع المعلومات تحليلها بشكل يؤدي إلى اختبار فرضيات النظرية والتأكد من مدى صدق أفكارها من عدمه.
- الهدف: إن هدف النظرية هو التوصل إلى بيانات عامة تفسر الأهداف السياسية الدولية على اعتبار أن أي جهد علمي لا يخلو من وضع الباحث أهدافا لنفسه يحاول الوصول إليها بشكل يضفي على نتائج البحث طابع الدقة والعقلانية والتخطيط، وتبتعد عن العشوائية.[2]

عناصر النظرية: يرى 'جراهام كينلوتش' أن بناء النظرية يتكون من عناصر ثمانية:

1-الشكل الأساسي.
2-مجموعة من التصورات.
3-مجموعة من الأحكام تتعلق بالعلاقة المنطقية بين هذه المفهومات.
4-التعريفات الإجرائية ابتداء من الفروض والمتغيرات والمؤشرات.
5-المنهج المستخدم لاختبار العلاقات بين الفروض.
6-تفسير النتائج.
7-تحليل النتائج
8-تقييم البناء المنطقي المنهجي التجريبي للنظرية في ضوء تحليل البيانات وتفسيرها.

المحاضرة الثالث عشر الواقعية الكلاسيكية

[2] سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، ط1، عمان: دار وائل للنشر، 2000، ص: 73-74.

الأصول والرواد :

التاريخ يكتبه دائماً المنتصرون، وهو تاريخ الحاضر، وبما أننا نسعى للعثور على الرواد بعد وفاتهم فإننا سنلغي عناصر الاختلاف أو الانحراف. وسنعود إلى أول مقالة لفيوتي Votti وكوبي kauppi في مجموعة النصوص التي تضمنتها مجلة العلاقات الدولية، 1 بعنوان realism; the state . power. And the balance of power..

فكر هانز مورغينتو:[12]

في كتابه A theory of International politics : the struggle for power and peace (نظرية السياسات العالمية: الصراع من أجل القوة والسلام)، يخصص مورغينتو حديثه الأساسي عن مفهوم السلطة.. والسياسة تتحدد قياساً إلى السلطة، وتهدف إلى امتلاكها والاحتفاظ بها وتنميتها. والسلطة هي دائماً الهدف النهائي للسياسة. السلطة هي السيادة على الفكر وعلى فعل البشر الآخرين. ويضع مورغينتو تصنيفاً للدول تبعاً لمختلف أهدافها السياسية. ويتكون هذا التصنيف من أربعة أقسام: الأول: هو **تصنيف الدول الساعية إلى إقرار الوضع القائم** statu quo أي عدم التعرض للترتيب القائم. أما الثاني فهو **تصنيف الدول الساعية إلى تنمية قوتها**، أي تلك الدول التي تمارس سياسة إمبريالية أما الثالث فهو يضم الدول الساعية إلى الشهرة. ينبغي وضع هذا التصنيف بموازاة الأشكال الثلاثة العامة للسلطة: الاحتفاظ بالسلطة، تنمية السلطة، إبراز السلطة. ويستخدم تصنيف مورغينتو مفهوم السلطة بالمعنى النسبي، وهو تصنيف يفتقر إلى الصرامة من حيث تعريف المصطلحات والمشكلات المرجعية التي يطرحها تطبيق هذا التصنيف.

المسألة المركزية التي يطرحها مورغينتو على نفسه، ومعه الواقعية الكلاسيكية، هي معرفة: ماهي السلطة وكيف يمكن قياسها؟ وإن مر مورغينتو على المسألة الأولى مرور الكرام. فهو يتوقف أكثر عند الثانية. وهكذا فهو يعتقد بأن السلطة الوطنية تنقسم إلى عدة عناصر تصنف في فئتين أساسيتين

12 **HANS J. MORGENTHAU'S,** POLITICS AMONG NATIONS: THE STRUGGLE FOR POWER AND PEACE, McGraw-Hill Professional, september 1992.

. الفئة الأولى "الثابتة"، وتضم عناصر كالجغرافيا أو الموارد الطبيعية، أي العناصر "التي تتنوع وفقاً للسياق المادي والفني، الفئة الثانية، أي العناصر المسماة ب"المتغيرة" وتضم عناصر كالقدرة الصناعية والتلوث ونوعية الشهادات أو الاستعداد العسكري. والأمر لا يتعلق هنا بعناصر مادية محض كما في السابقة. نلاحظ أن هذه العناصر كلها التي تميز السلطة هي عناصر غائمة لاسيما وأن مورغينتو يضيفها إلى بعضها بعض. وبما أن هذا الأمر يطرح علينا مشكلة خطيرة فإن مورغينتو يحذرنا أيضاً من الأخطاء المشتركة التي يمكن أن نرتكبها حينما نسعى إلى تقييم السلطة: أولاً، **ينبغي ألا نتعامل مع السلطة باعتبارها مفهوماً مطلقاً، ويجب أن يكون التحليل نسبياً. وثانياً، يجب ألا نعتبر السلطة كشيء مكتسب، وثالثاً، يجب ألا نركز على مكوّن واحد من مكونات السلطة بل على كل الأبعاد التي يحملها هذا المفهوم.**

توازن القوى:

يرى مورغينتو أن هناك ثلاثة أشكال لتحقيق السلام على الصعيد العالمي. أولاً، إذا تم فرضه من قبل الرأي العام الدولي أو نوع من الأخلاق. ثانياً، يمكن تحقيق السلام من خلال القانون الدولي. ثالثاً: هذا السلام يمكن أن يصبح حقيقة إذا أقمنا حكومة عالمية أي قوة مهيمنة شبه "مطلقة" يمكنها فرض آرائها على أي كان (بما في ذلك التحالفات). أخيراً، يمكن تحقيق السلام، أو تحديد الحرب من خلال توازن القوى ويرى مورغينتو أن الحل الأخير هو الممكن، لأن الحلول الأخرى تبدو له غير قابلة للتحقيق من الناحية العملية بل على الصعيد النظري.. ويعتقد أن مفهوم توازن القوى ينشأ من طبيعة العلاقات الدولية، أي أن مختلف الجهود التي تبذلها الدول ـ الأمم تتعارض مع بعضها بعض في نهاية المطاف، ويمكن للتوازن أن ينبثق بشكل عفوي في بعض الظروف. وهذا موقف عقلاني لأنه يأخذ طبيعة الإنسان بعين الاعتبار، وهو موقف أخلاقي لاعتقاده بإمكانية تحقيق السلام.

لكن ماذا يعني توازن القوى؟

أولاً، يرى مورغينتو أن مصطلح توازن القوى يصف أشياء مختلفة يمكننا تصنيفها في مستويات مختلفة. أولاً هناك **الموقف النظري المنظومي SYSTEMIQUE** الذي يعتبر أن توازن القوى يصف حالة يعاد فيها توزيع السلطة بشكل متساو، إلى حد ما، بين مختلف أقطاب المنظومة

العالمية. ثم المستوى النظري الوطني الذي يعتبر أن توازن القوى هو سياسة خاصة، سياسة توازن القوى، أي السياسة التي تتبعها الدول لتحقيق هذا التوازن، وهنا يجب أن نميز بشكل أساسي بين هذين المستويين لأن الأول يقع على صعيد المنظومة الدولية والثاني على صعيد السياسة القائمة بين الدول. أخيراً.. هناك المستوى النظري "للمؤرخين الرسميين historiographpique حيث يستخدم مصطلح توازن القوى لوصف حالة توازن أو عدم توازن..

ماهي المناهج المختلفة لتحقيق هذا التوازن؟..

1. *الحكمة القائلة: "فرق تسد"؛*
2. *المنظومات المختلفة للتعويض مثل تحقيق توازن على حساب طرف ثالث (بولونيا في القرن الثامن عشر على سبيل المثال)..*
3. *سياسة التسلح.*
4. *الأحلاف..*
5. *بيضة القبان balancier أي وجود قوة تريد أن تدخل صراحة في سياستها إرادة توازن القوى في المنظومة الدولية.*

لقد سمح توازن القوى بين عامي 1815 و1914 بتجنب صراعات كبيرة بين القوى الكبرى ربما باستثناء الحرب الفرنسية ـ البروسية التي قامت بين عامي 1870-1871. وللوصول إلى مثل هذه الحالة، وضعت المناهج المذكورة أعلاه موضع التنفيذ لاسيما الحالتين الرابعة والخامسة مما أدى إلى أن أية محاولة للهيمنة في القرن التاسع عشر تسعى لتغيير علاقات القوى القائمة، سرعان ما كانت تجابه بتحالف دفاعي ضد هذه القوى الهجومية. الحقيقية، وتبعاً لمفهوم عقلانية الممثلين، وهم هنا الدول ـ الأمم، إذا كانت كل قوة قابلة للمقارنة إلى حد ما، فإن كل دولة ستسعى للبحث عن توازن القوى بالوسائل المختلفة. لذا فإن القرن التاسع عشر يشكل سلسلة من المد والجزر في التحالفات والتكتلات الدفاعية على الصعيد الدولي. وعلى السؤال المطروح حول السبب الذي يدعو مختلف الدول لتأمين التوازن يمكننا الإجابة بأنها تريد بكل بساطة، تأمين أمنها الخاص وليس تطبيق فكرة معينة عن التوازن العالمي((1)). ما الذي نستنتجه من تحليل هذا النموذج. أولاً: هدف

منظومة توازن القوى هو هدف الحفاظ على هذه المنظومة بين القوى الكبرى فقط. وثانياً، نحن، قبل أي شيء أمام منظومة عملياتية محضة، أي عملية لا أخلاقية.

ماهي الشروط الواجب توافرها لتحقيق توازن القوى هذا؟

أ . ينبغي توفر عدد كبير من الدول التي يمكن مقارنة بعضها ببعض (قطبية متعددة) أي خمس قوى أو أكثر في الحالة المثالية.

ب . يجب السيطرة على القوى الأخرى وعلى تطورات الوضع بوسائل خارجية كالتحالفات.

ج . يجب أن تكون غالبية الدول مع مفهوم الوضع الراهن statu quo..

د . يجب امتلاك إرادة تغيير سريعة للتحالف إذا كان الأمر ضرورياً (تحالفات مرنة).

هـ . يجب على القوى المؤمنة بمفهوم الوضع القائم أن تكون جاهزة لخوض الحرب للمحافظة على المنظومة الدولية.

ماهي التغييرات التي حصلت في نهاية القرن التاسع عشر والتي أدت إلى أن توازن القوى لم يعد ممكناً في القرن العشرين؟

أولاً: هناك تغيرات ذات طبيعة تكنولوجية، وهو الأمر الذي سبب مشكلات أمام تحقيق الشرطين (ب) و(ج) المذكورين أعلاه في الحالة الأولى، جرت التغيرات التكنولوجية بسرعات مختلفة في كنف القوى الكبرى الأمر الذي أدى بالتحالفات إلى إحلال الرقابة الداخلية محل الرقابة الخارجية مثل تطور القوة العسكرية. ومثلنا على هذا ألمانيا خلال المرحلة الممتدة بين 1871 و1914. ونجمت التعديلات الطارئة على الشرط (ج) للأسباب التي ذكرناها. لأن تزايد القوى العسكرية لبعض الدول دفعها إلى إعادة النظر في شرط الوضع الراهن. وبعد هذا يمكننا بيان آثار النزعة الوطنية على الشرطين (ج) و(د) والمثال النموذجي على هذه التعديلات التي طرأت على الشرط (ج) بسبب النزعة الوطنية هو حالة النمسا ـ هنغاريا التي تسببت فيها النزعات الوطنية، في بروز اتجاهات جاذبة لدرجة أن هذه الدولة كانت مستعدة، من خلال إلغاء العوامل الداخلية والخارجية، للسيطرة على صربيا التي كانت الدعاية قد جعلتها بطلة التوحيد السلافي، فيما يخص الشرط (ج) يمكننا أن نذكر الصراع الفرنسي ـ الألماني على الألزاس واللورين، وهو العداء الذي يوضح وجود حدود لمرونة منظومة

التحالفات. وأخيراً هناك تأثيرات الديمقراطية التي تلامس الشرط (هـ) بشكل خاص. ولإيضاح هذا يمكننا أن نذكر مثال بريطانيا العظمى والصعوبات التي تعرضت لها حكومتها حينما أرادت أن تفسر لشعبها أسباب التغيرات المستمرة التي أصابت تغيرات موازين القوى وسياستها الوقحة. نرى، في الحقيقة أن السياسة البريطانية في تلك الفترة كانت من أكثر السياسات غموضاً، وكان ينقصها الوضوح لاسيما موقفها حول إمكانية خرق ألمانيا للحياد البلجيكي.

وهذا كله يؤدي إلى تصلب التحالفات، وهو الأمر الذي لا يستوي مع مبدأ توازن القوى. فضلاً عن ذلك. فقد تعزز هذا التصلب عبر الأزمات التي برزت في الفترة مابين 1900 و1910 كالأزمتين المغربيتين في عامي 1905 و1911 وأزمة البوسنة في 1908 . 1909. نحن الآن في وضع أساسي أقامه الواقعيون باعتباره يشكل **مأزق الأمن**، أي أن كل جهد يبذله الإنسان لزيادة أمنه يمكن أن يراه الآخرون على أنه زيادة لأمنهم. عندئذٍ يمكننا طرح السؤال التالي: كيف يمكننا تطوير أمننا دون تطوير أمن الآخرين؟

هناك عدة استراتيجيات يمكن أن تأخذ بها الدولة لتطوير أمنها وهي:

1 . تطوير قواها الخاصة بها (السيادة الداخلية).

2 . تطوير تحالفاتها مع دول أخرى (سيادة خارجية).

3 . تفريق صفوف أعدائها بمختلف الوسائل مثل اللجوء إلى الدعاية.

4 . اللجوء إلى منظمات دولية؛..

النقاط 1 و2و4 من شأنها إثارة عدم الشعور بالأمن لدى الأخرين، وكذا الأمر بالنسبة للنقطتين الأولى والثانية اللتين قد تدفعان الدول لمعرفة السبب الكامن وراء سعي دولة معينة لتطوير قدرتها العسكرية أوسعيها للتحالف مع دولة أخرى. هناك مثال معاصر يمكن أن يوضح النقطة الرابعة وهو التوسع المتوقع لحلف شمال الأطلسي باتجاه بلدان الشرق والقلق الروسي بشأن هذا التوسع. والخلاصة، يمكننا القول بأن مأزق الأمن يعلمنا أن الدولة لا يمكنها تحقيق أمنها دون التفكير بالآثار التي يمكن أن يتركها على أمن الآخرين..

نقد:

الانتقادات التي يمكن توجيهها إلى فكر مورغينتو وهي ضعف التصنيف الذي وضعه، ومصطلحه غير المتماسك وضعف قياسه للسلطة لأنه قياس غير عملي وغير صارم.

والنقد الذي يمكننا توجيهه إلى مفهوم توازن القوى هو أنه مفهوم غير واضح لعدم وجود مناهج أكيدة لقياس هذا التوازن. فضلاً عن ذلك، هذا المفهوم يقوم على فكرة عقلانية وباردة للأشياء، وأخيراً، فإن توازن القوى يهدف إلى أن كلاً يسعى لتحقيق الحد الأقصى لأمنه (مأزق الأمن). وتوازن القوى يتطلب ثقافة لهذا التوازن، هذه الثقافة التي كانت موجودة في زمن الديبلوماسية ورجالات السياسة في القرن التاسع عشر.

المحاضرة الرابعة عشر :الواقعية الجديدة

الواقعية الجديدة هي رؤية بيدولية inter –étatique (بمعناها الليبرالي). يحاول كينيث والتز في كتابه (نظرية حول السياسات الدولية Atheory of international politics (1979) تجاوز النقد الذي كان يمكن توجيهه إلى مورغينتو كما يسعى إلى تشذيب النظرية الواقعية من خلال البحث عن "جوهرها". ويقترح نظرية للمنظومة الدولية والإبقاء على هذا المستوى من التحليل باعتباره الوسيلة الوحيدة لفهم أفعال الفاعلين الذين يشكلون عناصر هذه المنظومة التي تفرض قيوداً محددة على الأفعال. وبهذا المعنى فإن والتز لا يملك أية رؤية معادية للعلاقات الدولية. والمعطى الوحيد الذي يتمتع بالأهمية عنده هو المنظومة، أما العوامل الأخرى كالدين وعلم النفس والسياسة الداخلية والاقتصاد إلى حد ما. تعتبر ثانوية. ويرى أن جوهر العلاقات الدولية يقع فوق العوامل الأخرى.. زد على ذلك تقديره أن هذا الوضع الفوضوي للعلاقات الدولية يجبر الدول على اتباع سياسات واقعية. ومن هنا فإن نظرية والتز هي نظرية ثورية لأنها تلغي عدداً من العوامل لتتيح وضع نظرية عامة للعلاقات الدولية..

لكن والتز يقف ضد التقليصية réductionnisme التي تقوم قاعدة تحليلها على مستوى الوحدات، ويشدد على خصائص هذه الوحدات وعلى سلوكها كتصنيف الأنظمة régimes (إسلامي، ديمقراطي، أوليغارشي،الخ..). لكي يتمكن من تفسير العلاقات الدولية. لكن والتز يعتبر أن السياسة الخارجية للدول ليست أهم العناصر في تفسير العلاقات الدولية، وهكذا فإن التقليصيين يرون أن المنظومة العالمية هي مجموع الدول وقراراتها وأفعالها المتبادلة. وبالتالي فإن مستوى التحليل يقع على صعيد المستوى الثاني، لتحليل العلاقات الدولية، أي الدول ـ الأمم، وهذه الرؤية هي إدراك "من الأسفل" للمنظومة الدولية، بمعنى آخر، هي إدراك المنظومة انطلاقاً من المستوى الذي نضع أنفسنا فيه. لكن والتز يميز بين السياسة الخارجية وبين المنظومة الدولية لأنه يعتبر المنظومة عبارة عن مجموع العوامل التي تدخل في أهداف الدول (المتغيرة) ونتائج السياسة الخارجية لهذه الدول (وهي نتائج ثابتة). هناك إذاً عنصر خارجي يدخل بين اللحظتين المذكورتين، وهذا يسمح بالمحافظة على ثبات المنظومة الدولية لأنه يندر أن تختفي الدول في أعقاب صراعات بيدولية. ويلاحظ والتز أن استمرارية معينة تظل تحكم العلاقات الدولية.

إذاً، والتز يدافع عن منظور منظومي، بعبارة أخرى، عن رؤية تنطلق من منظومة ما، أي من مجمل المنظومة الدولية التي تفرض طريقة معينة على شكل وحدات المنظومة وتصرفاتها عن طريق مظاهرها الضاغطة والصائغة. إذاً، فالمنظومة الدولية هي بنية تفرض نفسها على وحداتها. وهنا نضع أنفسنا في مستوى المجاز الثاني للمنظومة الدولية، أي الرؤيا "من أعلى" ويقدر والتز أن العلاقات الدولية، تركزت كثيراً على دراسة السياسات الخارجية للدول، مما أدى إلى تعددية في النظريات لأن أي صراع جديد يحدد شكلاً جديداً لأسباب هذا الصراع. إذاً فالأمر يتعلق بالبحث عن حل لمشكلة تكوين نظريات للعلاقات الدولية الحالية والابتعاد عن وضع تاريخ لهذه العلاقات الدولية. لأن تاريخها لا يحل شيئاً.. ومن هنا ضرورة وضع نظرية للعلاقات الدولية للتوصل إلى حل عملي وامتلاك إرادة من شأنها أن تحول دون نشوب النزاعات. وهذه النظرية هي وحدها الكفيلة بأن تشكل قاعدة لبناء أخلاق عملية. إذاً فالأمر يتعلق بدراسة نظرية للعلاقات الدولية توضح جوانب انسجام المنظومة. وإذا كنا نلجأ إلى الاتجاه المنظومي Systémisme فلأن استخدام البنية يسمح لها بدمج الانسجامات في النظرية ولأن البنية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية:

1 . مبدأ التسوية:

أي التدرج على المستوى الداخلي والفوضى على المستوى الدولي. وعلى هذا فإن نظرية والتز تستلهم الاقتصاد الميكروي Micro – économique بشكل مباشر. هناك بالفعل تشابه بين المفاهيم الاقتصادية الميكروية حول الإنسان الاقتصادي Homo Economicus، أي عقلانية الإنسان المستهلك والمنتج وبين البحث عن المصلحة الخاصة ومصلحة السوق التي تنشأ عفوياً من تفاعل مختلف العوامل الاقتصادية (([2])) والمفاهيم المنتمية إلى المنظومة السياسية الدولية مثل مفهوم المساعدة الذاتية (اللهم نفسي) Self – help أي أن الإنسان لا يستطيع الاعتماد إلا على نفسه وعلى قواه الذاتية، وقبل أي شيء على فكرة البقاء، بمعنى أن الدول تسعى في المقام الأول، إلى البقاء وليس إلى السلطة كما كان يعتقد مورغينتو. وعلى هذا فالمنظومة السياسية الدولية هي منظومة يسعى كل فيها إلى مساعدة نفسه، لأن الإنسان وحيد، وكما المنظومة الاقتصادية، فإن المنظومة الدولية تقوم على مبدأ اللهم نفسي (السوق)، وللوصول إلى هذه النتيجة يجب اتباع مبدأ الاصطفاء المعروف عند داروين، وهو المبدأ الشهير struggle for life

survival of the fittest" وكذلك النظريات المالتوسية التي تسمح بإقامة اقتصاد العقلانية الرفيعة عن طريق عقلانية تظهر من خلال المحاكاة عند الدول التي تتبع أفضل الناجحين والتي هي دول رفيعة المستوى بالتعريف.

2 . خصائص الوحدات . الدول:

وهي مشتقة من نتائج استخدام البنية. الدول سيدة نفسها لأنها تنتمي إلى مفهوم "اللهم نفسي" "Self – help". وبالتعميم، يمكننا القول بأنها جميعها تقوم بالوظيفة نفسها، بتعبير آخر، ليس هناك مايميز الدول عن بعضها بعض. فدول المنظومة الاشتراكية تتبع عملية تغير من خلالها أعضاءها ليصبحوا شبيهين بها. وبالمحاكاة، والدول تكون عقلانية بالمحاكاة عقلانية حيث تميل إلى احترام أخلاق المنظومة وقواعدها كاندماج الاتحاد السوفييتي في المنظومة الدولية مع أنه نتاج ثورة بلشفية امبريالية ثورية.

3 . يتم توزيع الموارد داخل المنظومة حسب الأقطاب أو القوى الكبرى.

وبالتالي فإن والتز يميز المنظومة الوحيدة القطب، وهو هنا لا يستفيض كثيراً لأن ما يدور بداخلها حاسم بالنسبة لها، عن المنظومة ثنائية القطب أو متعددة الأقطاب(([4])).

انطلاقاً من هذه العناصر الثلاثة، يمكننا استخلاص الانسجامات في سلوك الدول داخل المنظومة:

1 . الحرب ظاهرة عادية بسبب مبدأ "اللهم نفسي"..

2 . هناك استقلال للسياسة الدولية وفي الوقت نفسه ترابط بين السياسة الوطنية لوحدات المنظومة لأن البنية الدولية تحدد التعاون بسبب مأزق الأمن بالإضافة إلى مسألة الفائدة النسبية والأمن نفسه الذي يضع حداً للترابط المقبول.

3 . بما أن الدولة لا تهتم إلا بنفسها. فلا أحد يهتم بتغير البنية؛

4 . المنظومة الفوضوية لها فضائلها الخاصة بها. حيث يؤدي إلى استخدام القوة إلى الحدّ من المداورات manipulationواعتدال المطالب وتشجيع البحث عن الحلول الديبلوماسية. الواقعية السياسية realpolitik أو المصلحة العليا للدولة Raison d'Etat هو العنصر الأساسي في رؤية والتز المنظومية. وتقوم الواقعية السياسية على قاعدة أن للدول

مصالح (البقاء في الدرجة الأولى ومصالح أخرى تتعلق بالظروف) تخضع لقيود سببها المنظومة الدولية وهي دول عقلانية في مساعيها. بعد هذا يمكننا قياس نجاح سياسة ما من خلال قياس الحفاظ على الدول وتعزيز وجودها.

5 ـ توازن القوى: ويتطلب تحقيق شرطين، إما أن تبقى الدول في حالة فوضى أو إرادتها في البقاء ضمن المنظومة. وهنا نشير إلى هذا التوازن من شأنه أن يتحقق في غياب النية لتوفيره. أي يمكنه أن ينشأ بشكل آليّ كما هو الحال اليوم في أفغانستان. وقد نشأ هذا التوازن بوسيلتين الأولى داخلية والثانية خارجية..

6 ـ يقف والتز ضد الرؤية الاتفاقية التي ترى أن المنظومة المتعددة الأقطاب يمكن أن تكون أكثر استقراراً من المنظومة ذات القطبين. فمرونة الأولى تسمح بإعادة التوازن لما لها من سرعة جوهرية لاسيما إذا اختارت دولة ما من نوع "بيضة القبان" أن تتبع سياسة توازن القوى... لكن والتز يرى أن المرونة تؤدي إلى ازدياد الريبة وإمكانية الوقوع في حساب خاطئ. أما الثنائية القطبية فتتيح خفض الريبة والحفاظ على الوضع الراهن المراد بطبيعة الحال، من قبل القوى الكبرى المتخاصمة. وإذا وجد مزيد من أخطار النزاعات في عالم متعدد الأقطاب فإن نتائج النزاع ستكون أشد خطورة على العالم.

أخلاقية الواقعية ونقدها:

علينا أن نميز الأخلاقيات عن العلوم حتى لو كانت مرتبطة ببعض مستويات التحليل. وسنعالج الأخلاقية أولاً، ثم نأتي على نقد الواقعية الكلاسيكية.

تفترض الواقعية مسبقاً وجود أنثروبولوجيا محافظة ومتشائمة، وأن البشر والدول هم سيئون ويشدد مورغينتو على ما هو هام، على الصعيد الدولي، أي على أمن الدولة وبقائها. ورؤيته "البريئة" للعلاقات الدولية هي الرؤية التي كانت سائدة في أوروبا إبان القرن التاسع عشر. حينما كان هناك "توافق بين الأمم Concert des Nations" لكن من كان وراء هذا التوافق؟

أولاً، الأرستقراطيات التي كانت تمسك بالسياسة الدولية. وثانياً، كان يمكننا آنذاك الكلام عن المجتمع الدولي حيث كانت الدول تقبل بـ "المعايير العالمية". لكن في القرن العشرين حدثت تغيرات

مثل بروز الديمقراطية وتأثيرها على السياسة الدولية وكذلك الانتقال من المعايير الدولية إلى المعايير الوطنية.

لذا يعتقد مورغينتو أن الأخلاق ضرورية في العلاقات الدولية ويناهض، على سبيل المثال، المبرر الأخلاقي للسياسة الدولية وهو ما يسميه بـ ''إيديولوجية الأخلاق" أي أن المبادئ الأخلاقية تخفي وراءها المصالح الخاصة. كما يدين الإطلاقية الأخلاقية ويسميها "بالنزعة العاطفية Sentimentalisme" لأنها تغطي طبيعة السياسي وتركز فقط على القيمة الأخلاقية على حساب القيم الأخرى. وفي المقابل فهو يتفق مع "المصلحة الوطنية" التي يمكن تعريفها بعبارات مدروسة كمسألة الأمن الوطني، أي الحفاظ على سلامة المؤسسات الوطنية، وذلك لسببين على الأقل. لأن على هذه المؤسسات واجب أخلاقي لحماية مواطنيها بالدرجة الأولى. وبما أن المجتمع الدولي في حالة تنافس وتصارع دائمين فإن أي تصرف غير دولي سيكون على حساب مصالح مواطنيها. وثانياً إذا اهتم كل واحد بمصلحته الوطنية، عندها يمكن، عن طريق توازن القوى، تحقيق النظام والاستقرار للجميع، أي إيجاد حالة تخلو من صراعات مسلحة تذكر. إذاً مورغينتو يقترح علينا أخلاقية المسؤولية و"المصلحة العليا للدولة" أي للدولة ولمواطنيها. وعلى القادة أن يكونوا أخياراً إذا أمكن وأشراراً إذا استدعت الضرورة ذلك.

النقد الأساسي الذي يمكننا توجيهه للواقعية هو أنها تؤيد المنظومة من خلال أشكال فكرها. حتى لو كانت النية هي التغيير. والآن سننكبَّ على نقد مفهوم الواقعية الجديدة عبر خمس نقاط:

1 . مفهوم والتز هو مفهوم سكوني ولا يطرح على نفسه سؤالاً يتعلق بمعرفة الأسباب التي تؤدي إلى تغيرات المنظومة، كيف تنشأ وتتغير.

2 . يرى والتز أن خصائص الوحدات تنتج المنظومة العالمية أي أنها ترتبط بالمنظومة. لكن يمكن لهذه الخصائص أن تكون مرتبطة بالوحدات نفسها كما يتضح من المثال التاريخي حول الانتقال من المرحلة الإقطاعية إلى مرحلة الحداثة حيث نرى بوضوح أن طبيعة العالم الإقطاعي نفسه تختلف جوهرياً عن طبيعة العالم الحديث؛..

3 . إن فكرة قابلية توظيف الإمكانيات تحتل مكانة هامة عند الواقعيين الجدد. فهم يظنون أن السلطة العسكرية، وهي أهم السلطات طراً، يمكن تحويلها إلى مجالات أخرى مثل مجال

الاقتصاد. لكن تبرز هنا مشكلة معرفة السبب في عدم قدرة الأقوياء على تحقيق الانتصار كما حدث في فيتنام أو في أفغانستان. هناك خطان دفاعيان أساسيان من شأنهما تفسير ذلك:

أ- **عملية التحويل conversion**. الأقوياء، خسروا لعدم كفاءتهم أو بسبب حساباتهم الخاطئة وبسبب صعوبة تحويل إمكانات السلطة إلى مؤثرات.

ب- **عدم تناظر المحفزات**. فالأضعف غالباً مايكون أكثر تحفزاً لأنه يهتم بموضوع الصراع أكثر من اهتمام القوي به، وقد يكون دائماً حيوياً بالنسبة له.

النقد الرئيسي الذي يمكننا توجيهه للواقعية الجديدة هو صعوبة تحويل الموارد من مجال إلى آخر..

4 . ماهي المصلحة العليا، كما يحددها والتز؟ هي الأمن أم السيطرة؟ إنه لا يقول لنا شيئاً عن السياسات الخارجية في كنف المنظومة. وهذا يبين ضعف النزعة المنظومية وقوتها، أي أنها نظرية بسيطة لكنها تفقد من قوتها في لحظة التنبؤات وهذا يقود إلى النقد الخامس؛

5 . تتحدد التوقعات بطبيعة المنظومة وليس بالأحداث.

المحاضرة الخامسة عشر: النظرية البنيوية

يتم التأريخ للبنيوية قبل ذلك من خلال مفكرين ولغويين برزوا في بداية القرن العشرين، مثل اللغوي السويسري وأحد آباء السيميولوجيا فرديناند دي سوسور(1913–1857) ، والعالم اللغوي والناقد الأدبي الروسي رومان ياكوبسون (1982-1896)، من يُعتبر على نطاق واسع الملهم الأساسي لأفكار كلود ليفي ستراوس، الأشهر في الحقبة الجديدة من المدرسة البنيوية، والذي نقل المنهج البنيوي إلى حقل الأنثروبولوجيا، إضافة إلى جاك لاكان، الذي يعود له الفضل في استخدام التصورات البنيوية في التحليل النفسي، وإلى الناقد الأدبي الشهير رولاند بارت.

على العموم فقد بدأت الطروحات الأساسية في البنيوية من مقاربة اللغة كنظام شامل، تتحكم به درس في اللغويات". وعلى هذا النحو، فإن "علاقات داخلية، في فكر دي سوسور، وتحديدًا في كتابه هناك أربع ثنائيات أساسية تتحكم في التحليل البنيوي، حسب عالم اللغويات السويسري، وهي الدال واللغة كاستعمال أي الكلام (langue) ، واللغة كنظام(signified) والمدلول (signifier) ، والزماني(superstructure)والبنية الفوقية (infrastructure) والبنية التحتية (parole) ولا يركز هذا النوع من التحليل على كل عنصر .(synchronic) والتزامني (diachronic) على حدة، وإنما على العلاقات التي تحكم مسار هذه العناصر

تميزت المدرسة الفكرية التي أطلق عليها اسم البنيوية، باعتبارها تمثل توقًا مستمرًا إلى العثور على الناظم أو النظام داخل الفوضى والاعتباطية في المجتمع واللغة والنصوص. وعلى حد وصف ستراوس، فإن البنيوية كانت بمثابة إعادة اعتبار للحلم القديم الذي طالما راود الفلسفة والعلوم الإنسانية، بأن تدخل فردوس العلوم الطبيعية، في إشارة إلى إمكانية دراسة الواقع الاجتماعي كظاهرة منظمة ومرتبة

إن الفلسفة البنيوية في اللغة أو الأدب أو علم النفس أو علم الاجتماع، تدرس الظواهر بما هي "بُنى" لها قوانينها الداخلية الخاصة بها ولا تتأثر بالخارج، إلا في حالات نادرة. والبنية تعني الترتيب أو النظام الذي يتكون من عناصر (أفراد، كلمات، وسائل إنتاج، إلخ) والعلاقات والقواعد التي تربط العناصر. وفي حين لا تولي البنيوية أي اهتمام، بما هو خارج الإطار المسمى بنية، فإنها أيضًا لا تهتم بالعناصر

نفسها داخل البنية، ولكن بالعلاقات وعمليات التفاعل التي تجمعها. فالعناصر كما في اللغة، لا تكتسب أي قيمة خارج هذا التفاعل

وفي التصور البينوي حول المجتمع، فإن الكلمات والأشياء والأفراد وأنماط الإنتاج ليس لها قيمة جوهرية أو ذاتية، أي قيمة لتلك العناصر بذاتها، بل قيمة بنيوية، أي مكتسبة نتيجة وجودها داخل البنية أو النظام، ونتيجة تفاعلها مع العناصر الأخرى. وبالتالي فإن الفرد وهويته لا يُعرفان بصفاته الوجودية أو الذاتية، ولكن من خلال وجوده داخل نظام أو إطار بنيوي. ما يعني أن الفرد خاضع تمامًا للعلاقات الاجتماعية، مع الرفض الكامل لفكرة الذات الفاعلة أو الواعية

التركيز على تحليل البنية، دفع المفكرين البنيويين إلى التقليل من شأن الفاعلية الفردية، أو الوعي الفردي، وهو ما تجسد في مفهوم "موت الذات" (death of the subject) بينما تجسد عند رولان بارت. وهو ما يعني أن مفهوم الذات، باعتباره كيانًا واعيًا ومستقلًا وفاعلًا غيرُ موجود ولا يصلح لتفسير التحولات الاجتماعية والثقافية. وحتى في علم النفس، أعاد جاك لاكان قراءة نظرية سيغموند فرويد بطريقة بنيوية، حيث تلعب العلاقات "النقد الأدبي في فكرة "موت المؤلف الديناميكية بين الهوية والأنا والانا العليا دور البنية التحتية، بينما تتجسد بالنسبة له البنية الفوقية من خلال السلوك

الإضافات التي قدمها كونت لتطوير النظرية البنيوية:

يمكن تحديد هذه الاضافات بخمس نقاط اساسية مأخوذة من كتابة(الفلسفة الوضعية) وهي:

1-درس كونت المجتمع البشري في حالته السكونية, أي دراسة اجزائه البنيوية في نقطة زمنية محددة . علما بأن المجتمع البشري يتكون من اجزاء ونظم مختلفة بأغراضها كالنظم الاقتصادية والدينية والسياسية والعائلية.

2-تكون النظم التي يتكون منها المجتمع متكاملة، أي يكمل بعضها للبعض الأخر.

3-إذا تغير نظام اجتماعي فرعي من نظم البناء الاجتماعي فان هذا التغير لابد ان يؤثر على بقية النظم اذ يغيرها من طور الى طور اخر

4-تهدف الدراسة السكونية للمجتمع بنظر كونت الى الوقوف على القوانين التي تحكم تماسك النظم

وتضامنها. علما بأن العناصر الاساسية للمجتمع هي الفرد والعائلة والدولة.
5-لايعتبر الفرد عنصرا اجتماعيا إلا إذا تفاعل مع الآخرين وتضامن معهم بشكل جماعات ومنظمات متماسكة. لذا فالفردية الخالصة لاتمثل شيئا في الحياة الاجتماعية إلا بعد امتزاج وتفاعل العقول بعضها مع بعض. علما بأن تفاعل العقول لا يتحقق في الوسط الفردي وإنما يتحقق في الوسط الجمعي.

المحاضرة السادسة عشر : البنيوية الوظيفية

في هذا المبحث نود التطرق إلى الإضافات العلمية التي وهبها أبرز البنيويون الوظيفيون لنمو وتطور النظرية البنيوية الوظيفية، ومن هؤلاء هربرت سبنسر وتالكوت بارسونز وهانز كيرث و رايت ملز.

أولا: الإضافات التي قدمها هربرت سبنسر للنظرية البنيوية الوظيفية.

النظرية العضوية التي جاء بها هربرت سبنسر في كتابه مبادىء علم الاجتماع هي التي تفسر افكاره حول البنيوية الوظيفية.
فالنظرية البيو-اجتماعية التي ابتدعها هربرت سبنسر (1820-1903) تقارن الكائن الحيواني الحي بالمجتمع من حيث الأجزاء والوظائف والتكامل بين الأجزاء والوظائف للكائنين الحيواني والاجتماعي. لقد أجرى سبنسر مماثلة بين الكائن الحيواني والمجتمع فالكائن الحيواني كجسم الانسان مثلا يتكون من أجهزة وأعضاء كالجهاز العصبي والجهاز الهضمي والجهاز الدموي والجهاز العضلي والجهاز العظمي والجهاز التنفسي .....الخ. وبجانب الأجهزة العضوية للكائن الحيواني الحي هناك الاعضاء كالقلب والرئتين والمعدة واليد والرجل والعين واللسان والاذن.....الخ. علما بأن سبنسر قد حلل او شرح الجهاز العظمي الى مجموعة خلايا عضوية، ولكل خلية واجباتها وحقوقها.
أما الكائن الاجتماعي الذي شبهه هربرت سبنسر بالكائن العضوي فيتكون من مجموعة مؤسسات أو نظم اجتماعية فرعية كالنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الديني والنظام التربوي والنظام الأسري والقرابي ونظام العسكري . والنظام الواحد يتحلل إلى ادوار كتحليل النظام الاقتصادي إلى ادوار قيادية ووسطية وقاعدية وان لكل دور واجبات وحقوق اجتماعية.

ولم يكتف سبنسر بدراسة أجزاء الكائن الحيواني ومقارنتها بأجزاء المجتمع بل ذهب الى ابعد من ذالك إذ أشار أن لكل جزء من أجزاء المجتمع وظائفه التي تساعد عل ديمومة وبقاء الكائن الاجتماعي مثله في ذلك الوظائف التي يقدمها الجهاز العضوي لديمومه وبقاء الكائن الحيواني , ذلك ان للجهاز العظمي وظائفه البيولوجية وللجهاز العضلي وظائفه البيولوجية وهكذا.

وتناول سبنسر أيضا في دراسته البيواجتماعية التكامل بين أجزاء المجتمع والتكامل بين وظائفها إذ أشار بأن المؤسسة الاقتصادية تكمل المؤسسة الدينية وان المؤسسة الأخيرة تكمل المؤسسة الأسرية والقرابية وهكذا .كما أضاف بأن وظائف الكائن الاجتماعي مكملة بعضها لبعض إذ أن الوظائف الاقتصادية للمجتمع تكمل الوظائف العسكرية, والوظائف الأخيرة تكمل الوظائف التربوية. وهنا أكد سبنسر على موضوع التفاضل والتكامل لأجزاء المجتمع أو أجزاء الكائن الحيواني الحي. فبالرغم من تفاضل أجزاء المجتمع فإنها تكون متكاملة أي أن كل جزء يكمل الجزء الآخر.

الإضافات التي قدمها تالكوت بارسونز للبنيوية الوظيفية وتطورها:

ظهرت الإضافات التي قدمها تالكوت بارسونز (1902-1979) لنمو وتطور النظرية البنيوية الوظيفية في مؤلفيه (النسق الاجتماعي) و(نحو نظرية عامة للحدث). ذلك أن بارسونز يعد من قادة النظرية البنيوية الوظيفية في القرن العشرين . إن نظرية الحدث التي بلور معالمها بارسونز تدرس الأنساق الثلاثة وهي الثقافة والشخصية والنظام الاجتماعي .علما بأن التكامل الموضوعي بين الأنساق الثلاثة يعني بأن الثقافة لا يمكن فهمها إلا عن طريق الشخصية والنظام الاجتماعي , وان النظام الاجتماعي لا يمكن فهمه بدون فهم ودراسة واستيعاب الثقافة والشخصية.

بيد أن البنيوية الوظيفية البارسونية تكمن في النسق أو النظام الاجتماعي الذي درسه بارسونز دراسة بنيوية وظيفية إذ أكد ذلك عن طريق الخطاب الذي ألقاه أمام الجمعية الأمريكية للاجتماعيين عام 1947 عندما كان رئيسها إذ أشار إلى ضرورة إيجاد نظرية بنيوية وظيفية تخدم ثلاثة أغراض رئيسية هي:

1-تحديد الضرورات الوظيفية للنظام الاجتماعي

2-تحديد المتطلبات الوظيفية للنظام

3-تحليل المجتمع إلى عناصره الأولية وفق نظرية تكامل الأنساق الثلاثة

فالضرورات الوظيفية للنظام الاجتماعي هي:

1-قابلية النظام على تكييف نفسه للأنظمة الأخرى وللبيئة الطبيعية التي وجد فيها

2-تحقيق الأهداف الرئيسية للنظام.

3-قابلية النظام على تحقيق الوحدة بين أعضائه.

4-قدرته على المحافظة على الاستقرار والانسجام.

أما المتطلبات الوظيفية للنظام الاجتماعي فهي:

1-تحقيق وتهيئة الظروف الأساسية التي تساعد النسق الاجتماعي على البقاء والاستمرار والتطور، ومن هذه الظروف تنشئة الأطفال وتزويدهم بالمهارات والقابليات والقيم التي يعتز بها المجتمع

2-وجود لغة مشتركة تساعد على التفاهم والاتصال بين الافراد والجماعات

3- طريقة توزيع الأدوار الاجتماعية على بناء المجتمع أو الجماعة.

4-توزيع المكافآت والامتيازات والحقوق على الأفراد بطريقه تعتمد طبيعة الواجبات التي يقومون بها.

إن لكافة النظم الاجتماعية كالدولة والأسرة والجامع والكنيسة والأحزاب السياسية والسلطات والجماعات الضاغطة ...الخ

وظائف اجتماعية مهمة تساعد النظام على تحقيق أهدافه وطموحاته وتنتج في توازن وتكامل أجزائه البنيوية ,علما بأن النظرية البنيوية الوظيفية التي درسها بارسونز وطورها إنما هي منهج لتفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية من خلال الكشف عن طبيعة وظائفها وقدرتها على تحقيق الأهداف والطموحات.

تعتقد النظرية البنيوية الوظيفية التي كان روادها كل من هربرت سبنسر وتالكوت بارسونز وروبرت ميرتون و هانز كيرث وسي رايت ملز بعشره مبادئ أساسية متكاملة ,كل مبدأ يكمل المبدأ الاخر . وهذه المبادئ هي على النحو الآتي:

1-يتكون المجتمع او المجتمع المحلي او المؤسسة او الجماعة مهما يكن غرضها وحجمها من اجزاء ووحدات ,مختلفة بعضها عن بعض وعلى الرغم من اختلافها الا انها مترابطة ومتساندة ومتجاوبة واحدتها مع الاخرى

2-المجتمع او الجماعة او المؤسسة يمكن تحليلها تحليلا بنيويا وظيفيا الى اجزاء وعناصر اولية ,أي ان المؤسسة تتكون من اجزاء او عناصر لكل منها وظائفها الاساسية.

3- ان الاجزاء التي تحلل اليها المؤسسة او المجتمع او الظاهرة الاجتماعية انما هي اجزاء متكاملة ,فكل جزء يكمل الجزء الاخر وان أي تغيير يطرأ على احد الاجزاء لابد ان ينعكس على بقية الاجزاء وبالتالي يحدث ما يسمى بعملية التغير الاجتماعي

من هنا تفسر النظرية البنيوية الوظيفية التغير الاجتماعي بتغير جزئي يطرأ على احد الوحدات او العناصر التركيبية, وهذا التغير سرعان ما يؤثر في بقية الاجزاء اذ يغيرها من طور الى طور اخر.

4-ان كل جزء من اجزاء المؤسسة او النسق له وظائف بنيوية نابعة من طبيعة الجزء . وهذه الوظائف مختلفة نتيجة اختلاف الاجزاء او الوحدات التركيبية، وعلى الرغم من اختلاف الوظائف فان هناك درجة من التكامل بينها. لذا فوظائف البنى المؤسسية مختلفة ولكن على الرغم من الاختلاف فان هناك تكاملا واضحا بينهما. فمثلا وظيفة المدرس او الاستاذ في المؤسسة التربوية تختلف عن وظيفة الطالب. ولكن وظائف كل منهما تكمل بعضها البعض ، فالأستاذ لا يستطيع اداء وظائفه التعليمية والتربوية دون ان يكون هناك طلبة كما ان الطالب لا يستطيع تلقي العلوم والمعرفة والتربية دون ان يكون هناك مدرس , لذا فالاختلاف والتفاضل في المراكز هو شي وظيفي للتماسك والتكافل الاجتماعي في المؤسسة التربوية او التعلمية.

5-الوظائف التي تؤديها الجماعة او المؤسسة او يؤديها المجتمع انما تشبع حاجات الافراد المنتمين او حاجات المؤسسات الاخرى , والحاجات التي تشبعها المؤسسات قد تكون حاجات أساسية أو حاجات اجتماعية او حاجات روحية

6-الوظائف التي تؤديها المؤسسة او الجماعة قد تكون وظائف ظاهرة او كامنة او وظائف بناءة أو وظائف هدامة

7-وجود نظام قيمي أو معياري تسير البنى الهيكلية للمجتمع أو المؤسسة في مجاله. فالنظام القيمي هو الذي يقسم العمل على الأفراد ويحدد واجبات كل فرد وحقوقه كما يحدد أساليب اتصاله وتفاعله مع الآخرين. إضافة إلى تحديده لماهية الأفعال التي يكافأ عليها الفرد أو يعاقب

8- تعتقد النظرية البنيوية الوظيفية بنظام اتصال أو علاقات إنسانية تمرر عن طريقه المعلومات والإيعازات من المراكز القيادية إلى المراكز القاعدية او من المراكز الأخيرة إلى المراكز القيادية

9-تعتقد النظرية البنيوية الوظيفية بنظامي سلة ومنزلة. فنظام السلطة في المجتمع أو المؤسسة هو الذي يتخذ القرارات ويصدر الايعازات والأوامر إلى الأدوار الوسطية أو القاعدية لكي توضع موضع التنفيذ فهناك في النظام ادوار تصدر الأوامر وهناك ادوار تطيعها .إما نظام المنزلة فهو النظام الذي يقضي بمنح الامتيازات والمكافآت للمعلمين الجيدين لشدهم والآخرين من زملائهم إلى العمل الذي يمارسونه، علما بأن الموازنة بين نظامي السلطة والمنزلة هي شيء ضروري لديمومة وفاعلية المؤسسة أو النظام او النسق

الانتقادات التي وجهت للاتجاه البنائي الوظيفي:

من أهمها:

1-لقد انصب التركيز على الجوانب الثابتة من النسق الاجتماعي أكثر من الاهتمام بالإبعاد الديناميكية المتغيرة, وكانت الأبعاد الثقافية للنسق الاجتماعي أكثر استخداما في التفسير من غيرها من مكونات النسق

2-المبالغة في محاكاة نموذج العلوم الطبيعية, وخاصة نموذج علوم الحياة , وكأن النسق الاجتماعي كائن عضوي تحكمه نفس القوانين التي تحكم حركة الكائنات الحية

3-يؤخذ على الاتجاه البنائي الوظيفي انه احادي النظرة، بمعنى انه لا يرى ويبحث في النسق الاجتماعي الا ابعاد التوازن والوظائف وتحقيق الاهداف, فلا يهتم بتحليل ابعاد اخرى مثل ابعاد التغير والاضطراب والامراض والمشكلات الاجتماعية

4- استبعاد فكرة التغير الاجتماعي وخاصة الجذري والشامل , وحتى وان اعترف النموذج البنائي الوظيفي بشيء من التغير الاجتماعي النابع من عوامل كائنة داخل النسق , فانه لا يعطي أي اهتمام, بل لا يهتم مطلقا بالتغير الاجتماعي الذي يتم بفعل عوامل من خارج النسق الاجتماعي

5-اهمل الاتجاه البنائي الوظيفي فكرة الصراع الاجتماعي, مع ان هذا المتغير اساسي في فهم تغير وتطور المجتمعات الانسانية الصناعية والنامية منها على حد سواء

6- صعوبة اختبار كثير من المفاهيم والتصورات والقضايا التي يستند اليها الاتجاه البنائي الوظيفي في فهم المجتمع

7- لا يطرح اسئلة رئيسية وجذرية حول غاية الفعل الاجتماعي ,فهو يهتم فقط بنتائج الفعل واستمراره دون النظر في مضامينه وغاياته البعيدة

الاضافات التي قدمها كونت لتطوير النظرية البنيوية:

يمكن تحديد هذه الاضافات بخمس نقاط اساسية مأخوذة من كتابة (الفلسفة الوضعية) وهي:

1-درس كونت المجتمع البشري في حالته السكونية، أي دراسة اجزائه البنيوية في نقطة زمنية محددة . علما بأن المجتمع البشري يتكون من أجزاء ونظم مختلفة بأغراضها كالنظم الاقتصادية والدينية والسياسية والعائلية.

2-تكون النظم التي يتكون منها المجتمع متكاملة، أي يكمل بعضها للبعض الاخر.

3-اذا تغير نظام اجتماعي فرعي من نظم البناء الاجتماعي فان هذا التغير لابد ان يؤثر على بقية النظم اذ يغيرها من طور الى طور اخر

4-تهدف الدراسة السكونية للمجتمع بنظر كونت الى الوقوف على القوانين التي تحكم تماسك النظم وتضامنها. علما بأن العناصر الاساسية للمجتمع هي الفرد والعائلة والدولة.

5-لايعتبر الفرد عنصرا اجتماعيا الا إذا تفاعل مع الاخرين وتضامن معهم بشكل جماعات ومنظمات متماسكة. لذا فالفردية الخالصة لا تمثل شيئا في الحياة الاجتماعية الابعد امتزاج وتفاعل العقول بعضها مع بعض. علما بأن تفاعل العقول لا يتحقق في الوسط الفردي وانما يتحقق في الوسط الجمعي.

الاضافات التي قدمها أبرز رواد البنيوية الوظيفية:

في هذا المبحث نود التطرق الى الاضافات العلمية التي وهبها ابرز البنيويون الوظيفيون لنمو وتطور النظرية البنيوية الوظيفية، ومن هؤلاء هربرت سبنسر وتالكوت بارسونز وهانز كيرث وسي .رايت ملز

أولا الاضافات التي قدمها هربرت سبنسر للنظرية البنيوية الوظيفية:

النظرية العضوية التي جاء بها هربرت سبنسر في كتابه مبادئ علم الاجتماع هي التي تفسر افكاره حول البنيوية الوظيفية.

فالنظرية البيو-اجتماعية التي ابتدعها هربرت سبنسر (1820-1903) تقارن الكائن الحيواني الحي بالمجتمع من حيث الاجزاء والوظائف والتكامل بين الاجزاء والوظائف للكائنين الحيواني والاجتماعي. لقد أجرى سبنسر مماثلة بين الكائن الحيواني والمجتمع فالكائن الحيواني كجسم الانسان مثلا يتكون من اجهزة واعضاء كالجهاز العصبي والجهاز الهضمي والجهاز الدموي والجهاز العضلي والجهاز العظمي والجهاز التنفسي .....الخ. وبجانب الاجهزة العضوية للكائن الحيواني الحي هناك الاعضاء كالقلب والرئتين والمعدة واليد والرجل والعين واللسان والاذن.....الخ. علما بأن سبنسر قد حلل او شرح الجهاز العظمي الى مجموعة خلايا عضوية، ولكل خلية واجباتها وحقوقها.

اما الكائن الاجتماعي الذي شبهه هربرت سبنسر بالكائن العضوي فيتكون من مجموعة مؤسسات او نظم اجتماعية فرعية كالنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الديني والنظام التربوي والنظام الاسري والقرابي ونظام العسكري. والنظام الواحد يتحلل الى ادوار كتحليل النظام الاقتصادي الى ادوار قيادية ووسطية وقاعدية وان لكل دور واجبات وحقوق اجتماعية.

ولم يكتف سبنسر بدراسة اجزاء الكائن الحيواني ومقارنتها بأجزاء المجتمع بل ذهب الى ابعد من ذالك اذ اشار ان لكل جزء من اجزاء المجتمع وظائفة التي تساعد عل ديمومة وبقاء الكائن الاجتماعي مثله في ذلك الوظائف التي يقدمها الجهاز العضوي لديمومه وبقاء الكائن الحيواني , ذلك ان للجهاز العظمي وظائفه البيولوجية وللجهاز العضلي وظائفه البيولوجية وهكذا.

وتناول سبنسر ايضا في دراسته البيو اجتماعية التكامل بين اجزاء المجتمع والتكامل بين وظائفها اذ اشار بأن المؤسسة الاقتصادية تكمل المؤسسة الدينية وان المؤسسة الاخيرة تكمل المؤسسة الاسرية والقرابية وهكذا .كما اضاف بأن وظائف الكائن الاجتماعي مكملة بعضها لبعض اذ ان الوظائف الاقتصادية للمجتمع تكمل الوظائف العسكرية, والوظائف الاخيرة تكمل الوظائف التربوية. وهنا اكد سبنسر على موضوع التفاضل والتكامل لأجزاء المجتمع او اجزاء الكائن الحيواني الحي.فبالرغم من تفاضل اجزاء المجتمع فإنها تكون متكاملة أي ان كل جزء يكمل الجزء الاخر

الاضافات التي قدمها تالكوت بارسونز للبنيوية الوظيفية وتطورها:

ظهرت الإضافات التي قدمها تالكوت بارسونز (1902-1979) لنمو وتطور النظرية البنيوية الوظيفية في مؤلفيه (النسق الاجتماعي) و(نحو نظرية عامة للحدث) .ذالك ان بارسونز يعد من قادة

النظرية البنيوية الوظيفية في القرن العشرين . ان نظرية الحدث التي بلور معالمها بارسونز تدرس الانساق الثلاثة وهي الثقافة والشخصية والنظام الاجتماعي .علما بأن التكامل الموضوعي بين الانساق الثلاثة يعني بأن الثقافة لا يمكن فهمها الا عن طريق الشخصية والنظام الاجتماعي , وان النظام الاجتماعي لا يمكن فهمه بدون فهم ودراسة واستيعاب الثقافة والشخصية.

بيد ان البنيوية الوظيفية البارسونية تكمن في النسق او النظام الاجتماعي الذي درسه بارسونز دراسة بنيوية زظيفية اذ اكد ذلك عن طريق الخطاب الذي القاه امام الجمعية الامريكية للاجتماعيين عام 1947 عندما كان رئيسها اذ اشار الى ضرورة ايجاد نظرية بنيوية وظيفية تخدم ثلاثة اغراض رئيسية هي:

1-تحديد الضرورات الوظيفية للنظام الاجتماعي

2-تحديد المتطلبات الوظيفية للنظام

3-تحليل المجتمع الى عناصره الاولية وفق نظرية تكامل الانساق الثلاثة

فالضرورات الوظيفية للنظام الاجتماعي هي:

1-قابلية النظام على تكييف نفسة للأنظمة الاخرى وللبيئة الطبيعية التي وجد فيها

2-تحقيق الاهداف الرئيسية للنظام

3-قابلية النظام على تحقيق الوحدة بين اعضائه

4-قدرته على المحافظة على الاستقرار والانسجام

أما المتطلبات الوظيفية للنظام الاجتماعي فهي:

1-تحقيق وتهيئة الظروف الأساسية التي تساعد النسق الاجتماعي على البقاء والاستمرار والتطور، ومن هذه الظروف تنشئة الأطفال وتزويدهم بالمهارات والقابليات والقيم التي يعتز بها المجتمع

2-وجود لغة مشتركة تساعد على التفاهم والاتصال بين الأفراد والجماعات

3- طريقة توزيع الأدوار الاجتماعية على بناء المجتمع أو الجماعة

4-توزيع المكافآت والامتيازات والحقوق على الأفراد بطريقه تعتمد طبيعة الواجبات التي يقومون بها

إن لكافة النظم الاجتماعية كالدولة والأسرة والجامع والكنيسة والأحزاب السياسية والسلطات والجماعات الضاغطة ...الخ
وظائف اجتماعية مهمة تساعد النظام على تحقيق أهدافه وطموحاته وتنتج في توازن وتكامل اجزائه البنيوية،علما بأن النظرية البنيوية الوظيفية التي درسها بارسونز وطورها إنما هي منهج لتفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية من خلال الكشف عن طبيعة وظائفها وقدرتها على تحقيق الأهداف والطموحات.

أخيراً يمكننا عرض النقاط الإيجابية التي تنطوي عليها الواقعية. نشير أولاً إلى ملاءمة الواقعية، لأنها تبين العالم على حقيقته وثانياً، البساطة البالغة التي تتسم بها هذه النظرية، وثالثاً، تسمح بساطتها بما يسمى بـ "Armchir analysis"، أي أنك لست بحاجة لأن تكون متخصصاً في مجال ما لاستنتاج محفزات الأحداث وأسبابها.

المحاضرة السابعة عشر: النظرية السلوكية

شكلت النظرية السلوكية أساسًا لدراسة سلوك الإنسان، الذي شغل علماء النفس لسنواتٍ طويلةٍ، أول مختبرٍ متخصصٍ في (Wilhelm Wundt) حيث أنشأ عالم النفس الألماني فيلهلم فونت ونظرياته؛ بما فيها النظرية السلوكية، بعد أن لاحظ صعوبة دراسة العمليات العقلية دراسة علم النفس بشكلٍ موضوعيٍّ؛ مقارنةً مع إمكانية مراقبة وقياس السلوك البشري.

النظرية السلوكية

هي إحدى النظريات الكبرى في علم النفس؛ التي تدرس السلوكيات الممكن ملاحظتها بسهولةٍ لدى الفرد، كما تسعى إلى دراسة وشرح السلوك البشري، من خلال تحليل الظروف التي عاشها الفرد،

والنتائج المترتبة عليها في بيئته، والخبرة المكتسبة من تجاربه السابقة؛ والتي أدت إلى ظهور سلوكه الحالي.

ولم تتبنَّ النظرية السلوكية فكرة وجود دورٍ للوعي في سلوك الفرد، الموجودة في نظريتي الوظائفية والبنيوية، ورفضت المفاهيم التي وضعها الفيلسوف فرويد حول تأثيرات اللاشعور في تحديد السلوك رفضًا قاطعًا، بل أصرّت على أن السلوك الملحوظ (الواعي)، هو فقط ما يجب دراسته؛ كونه يمكن مراقبته بشكلٍ موضوعيٍّ.[1]

أنواع النظرية السلوكية

– السلوكية النفسية

من الأسماء التي تركت تاثيرًا هامًّا في النظرية السلوكية ، كان الفيلسوف برهوس فريدريك سكينر خاصةً بما يتعلق بالسلوكية النفسية، حيث اعتبر أن السلوك البشري ليس سوى مرآةً للعمليات العقلية. ويعتقد علماء النفس أن دراسة هذا النوع من السلوكية، تتمُّ من خلال التحفيز الفيزيولوجي، أو الانفعالات العاطفية.

السلوكية التحليلية –

توصل سكينر نتيجةً للبحث والدراسة بشكلٍ مُعمّقٍ في السلوكية النفسية، إلى الاعتقاد بفكرةٍ تُفيد بضرورة اقتران سلوك الشخص مع ما يعتريه من أفكارٍ ومشاعرَ داخليةٍ. اعتُبرت فيما بعد كإحدى أنواع النظرية السلوكية، وعُرفت باسم السلوكية التحليلية، أو المنطقية، أو الجذرية؛ وتنص على أن السلوك البشري؛ هو الوجه الخارجي لما يجري من عملياتٍ عقليةٍ داخل الشخص.[2]

النظرية السلوكية والشخصية

وفقًا للنظرية السلوكية، إن شخصية الفرد لا تتكون مع ولادته؛ إنما تأخذ شكلها من خلال مجموعةٍ من السلوكيات المتتالية المرتبطة بالعوامل الخارجية في البيئة المحيطة به، إذ أن شخصية الطفل عند

ولادته تكون كاللوح الفارغ؛ قبل أن تكتسب بعضًا من صفاتها بشكلٍ تدريجيٍّ اعتمادًا على ما تتلقاه من مُكتسباتٍ.[3] كذلك الأمر بالنسبة للإرادة؛ إذ تتأثر بالبيئة الخارجية المحيطة.

تطبيقات النظرية السلوكية

ساهمت النظرية السلوكية في تطوير العديد من المجالات من خلال استخدامها في عددٍ من التطبيقات العملية المفيدة، منها:

- **العلاج**
  - تُستخدم النظرية السلوكية في عديدٍ من العلاجات، كعلاج الأطفال المصابين بالتوحد؛ إذ تُتيح دراسة وتحليل سلوك الطفل، مساعدته في تعلم مهاراتٍ وتقنياتٍ جديدة.
- **بناء أو كسر العادات**
  - يمكن للبالغين أيضًا الاستفادة من النظرية السلوكية، للتخلص من العادات السيئة، أو ابتكار عاداتٍ جديدةٍ مفيدة.
- **المساعدة في تعليم الأطفال**
  - تشكل النظرية السلوكية الحجر الأساس في بناء النظام التعليمي ضمن المدارس؛ إذ يُعتمد عليها في مكافأة الأطفال، لحثهم على التعلّم والدراسة، وعقابهم بالمقابل عند التقصير بأيّ شيءٍ. كذلك الأمر بالنسبة للآباء، إذ يلجؤون إليها لتعليم أطفالهم الفرق بين الصواب والخطأ، فلولا الدراسات السلوكية التي أجريت بين عامي 1910 و1950، لكانت طرق تربية الأطفال اليوم مختلفةً تمامًا.

إيجابيات ومآخذ حول النظرية السلوكية

تملك النظرية السلوكية العديد من نقاط القوة والضعف؛ حيث تتمثل نقاط القوة في أن السلوك شيءٌ يمكن ملاحظته ومراقبته، بعكس العواطف والأفكار والحالات المزاجية الأخرى؛ الأمر الذي يُتيح إجراء الأبحاث والدراسات المختلفة حوله. بينما يُؤخذ على النظرية النسبية، عد دراستها بشكلٍ مُعمّقٍ، بل جرى التركيز على دراسة علم النفس البيولوجي، وعلاقة العمليات العقلية، والعواطف في السلوك فقط.

المدرسة السلوكية ومحاولة بناء نموذج علمي في السياسة المقارنة

بحلول ستينات القرن العشرين المنصرم، بدأ واضحا أن السلوكية لم تعد مجرد أقلية تناضل ضد التقليد المهيمن على حقل السياسة آنذاك بل كانت طبقا لروبرت دال، أحد أبرز منظري المدرسة السلوكية، تمثل بالفعل ثورة ناجحة، وفقا لنموذج توماس كون للثورات العلمية، حيث استطاعت الفوز بتعاطف الكادر الشاب والمتحمس من علماء الحقل، وأنها أصبحت في طريقها لخلق أجندة جديدة لعلم السياسة. ووصل الأمر بروبرت دال إلى التنبؤ بأن السلوكية ستنمو لتصبح مألوفة جدا وموضع إجماع جديد وبأنها لن تبقى مجرد اقتراب خاص. فالسلوكية كما أشار روبرت دال (1961) "ستختفي تدريجيا... أعني فقط أنها سوف تزول ببطء كنمط متميز، لأنها ستصبح، بل أنها قد أصبحت بالفعل، جزءا من البناء الأساسي للحقل. فالنمط السلوكي لن يختفي لأنه قد أخفق وإنما سيختفي لأنه قد نجح".

لقد جاء ظهور النموذج السلوكي كما يؤكد شيل كوت كحركة احتجاجية من قبل بعض علماء السياسة ضد إخفاق النموذج التقليدي القانوني غير المقارن الذي كان في معظمه وصفيا وذا أفق ضيق وانحصر اهتمامه في دراسة الجوانب الشكلية والقانونية للحكومات فضلا عن التركيز على وجود علاقة متبادلة بين الحقائق والقيم. وقد أكتسب التوجه السلوكي حضورا وشعبية كبيرة في علم السياسة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية برغم أن جذوره تعود إلى عشرينات القرن الماضي متمثلة في كتابات وأعمال علماء سياسة بارزين من أمثال تشارلز مريام وهارولد لا زويل وغيرهما. حيث كان مريام واحدا من أبرز المندفعين نحو توجيه علم السياسة إلى التركيز على دراسة السلوك الواقعي للناس مؤكدا على فائدة النظر إلى السلوك الفعلي للأفراد والجماعات الناشطين سياسيا بدلا من التركيز فقط على تحليل القواعد الشكلية والقانونية التي يفترض أن يخضع لها أولئك الأفراد والجماعات. أي أن عالم السياسة السلوكي ينبغي أن يهتم بالبحث عن المصادر غير الرسمية والشكلية للقوة والسلطة والتي تنبع من التشعبات الاقتصادية والأخلاقية والعلاقات الاجتماعية فضلا عن اهتمامه ببناء نظريات علمية تربط حقل السياسة بحقول المعرفة الأخرى.

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من آثار لتمهد الطريق لمرحلة تحول حاسمة في تطور حقل السياسة كما يشير نصر عارف " أخرجت النموذج المعرفي التقليدي تماما من ساحة البحث

الأكاديمي، وأتاحت الفرصة لهيمنة الحركة السلوكية على مختلف حقول العلوم الاجتماعية، وأصبح من المنطقي القول بحدوث ثورة سلوكية". ويعود السبب في ازدهار النموذج المعرفي السلوكي لعلم السياسة في تلك الفترة كما يقول روبرت دال إلى ثلاثة عوامل رئيسة على الأقل.

أولا: توفر مصادر تمويل ضخمة من قبل مؤسسات بارزة مثل كارنجي وروكفلر وفورد وغيرها لتشجيع إجراء دراسات تجريبية في العلوم الاجتماعية بهدف إحداث تغيير اجتماعي باتجاه الليبرالية الرأسمالية ليس في الدول الغربية فقط وإنما في دول العالم الثالث أيضا.

ثانيا: توفر وسائل جديدة وإمكانيات منهجية واعدة أمكن استخدامها في البحث السياسي بعد أن تم تطويرها بشكل مستقل عن علم السياسة. ومن تلك الوسائل الجديدة استطلاعات الرأي العام والدراسة المسحية بالإضافة إلى التطور المذهل في ميدان الإحصاء الرياضي والتقدم في تقنية الحاسوب.

ثالثا: الأثر الكبير للتراث الوضعي المنطقي، التي تؤكد ضرورة فصل القيم عن العلم، وكتابات ماكس فيبر التي حملها إلى الولايات المتحدة مجموعة من العلماء الأوربيين اللاجئين الهاربين من جحيم الحرب في أوربا .

ويشير ايزاك (1969)إلى أن هناك تحت المظلة "السلوكية" اتجاهين واسعين على الأقل هدف أحدهما إلى التأكيد على الموضوع أو المحتوى ، بينما ركز الآخر على الأسلوب أو المنهجية.

فقد أكد **الاتجاه الأول**، الذي منح الحركة اسمها، وذلك من خلال التركيز على سلوك الفاعلين السياسيين إي دراسة النشاط السياسي بدلا من المؤسسات، على أن اهتمام السياسة الرئيس ليس في دراسة البناءات الشكلية كالمؤسسات ، والدساتير، والهيئات التشريعية بل في التركيز على السلوك الفعلي للناس في الحياة العامة سواء حدث هذا السلوك ضمن البناءات السياسية الشكلية أم خارجها. حيث يرى هذا الاتجاه أنه برغم أهمية المؤسسات في العملية السياسية إلا أنها وحدها لا تمثل المضمون الحقيقي للسياسة بل إن النشاط ضمن تلك المؤسسات والسلوك حولها هو ما ينبغي أن يمثل الاتجاه الرئيس لعالم السياسة. ومع أن هذا الاتجاه لا يرفض تماما الاقترابات التقليدية السابقة حيث يرى أن عالم السياسة السلوكي يمكن أن يستخدم المعلومات التاريخية عند الحاجة، ويبقى مهتما

بالجوانب القانونية للنظم السياسية ولا يزال يعي أهمية المؤسسات إلا أن اهتمامه الرئيس هو السلوك. فالتاريخ بعد كل شيء ليس إلا سلوكا إنسانيا، كما أن الناس هم الذين يصنعون القوانين ويتبعونها وحتى يتجاوزونها، وأخيرا والأكثر أهمية فإن المؤسسات ليست سوى توليفة من الأنماط السلوكية.

ومع ذلك، فإن هناك وجهتي نظر متباينة بين علماء السياسة بشكل عام حول مدى أهمية سلوك كل من الأفراد والجماعات. فهناك أولا أولئك الذين يبدو أنهم يمثلون معظم التوجه السلوكي والذين يرون أن الجماعات لا تعني شيئا أكثر من مجموع أعضائها الأفراد، أي أنه ليس هناك خصائص بارزة للجماعة لا يمكن أن تنطبق على أفرادها. أما علماء السياسة الآخرون فيؤكدون بأن هناك سمات خاصة بالجماعة لا يمكن أن تنطبق على أفرادها ومن ثم فإن الجماعات هي أكثر من مجرد مجموع أفرادها. ويمثل هذا التوجه تقليدا مهما في التحليل التاريخي والاجتماعي كما كان له تأثير على عدد من علماء السياسة. وكما يبدو فإن معظم السلوكيين يتبنون الموقف الفردي الذي يؤكد على أهمية السلوك الفردي واعتباره اللبنة الأساسية في بناء علم السياسة، ولذا يبدو أن هناك تلازما بين السلوكية والفردية.

أما **الاتجاه الثاني** في السلوكية، والذي وإن كان وثيق الصلة بالأول إلا أنه مع ذلك حظي بدرجة من الأهمية استحق معها اعتبارا خاصا، فقد هدف إلى تحويل الدراسات السياسية إلى علم قابل للتحقق من خلال تشجيع طلاب السياسة على توظيف المنهجية العلمية الطبيعية واعتبار السلوكية مرادفا للطريقة العلمية للسياسة. حيث كان هناك اقتناع صريح بدرجة أو بأخرى بالمنهجية العلمية التجريبية التي يمكن أن تتدرج من فكرة ضيقة للعلم (بمعنى أي شيء نسقي وتجريبي) وصولا إلى مجموعة متكاملة من الافتراضات والمبادئ العلمية. وطبقا لهذا الاتجاه أضحت السلوكية شعارا للحركة العلمية في علم السياسة التي تتلخص أهدافها في تطوير تعميمات تجريبية ونظرية نسقية واستخدام كل ذلك في تفسير الظاهرة السياسية.

كذلك أمل هذا الاتجاه إلى التوصل إلى إلغاء الحواجز التي تفصل العلوم الاجتماعية عن بعضها انطلاقا من القاعدة المنهجية التي يطلقون عليها "وحدة العلوم الاجتماعية" والتي تعني ببساطة أن العلوم الاجتماعية جميعها تدرس الشيء نفسه– سلوك الأفراد أو مجموعة من الأفراد. فبرغم أن علماء السياسة يدرسون ما يسمونه السلوك السياسي، والاقتصاديون يدرسون السلوك الاقتصادي، وعلماء

النفس السلوك النفسي – وهذه هي القاعدة التي بنيت عليها الحدود الفاصلة بين الحقول الاجتماعية– إلا أن الملاحظات الأساسية لأي علم اجتماعي هي نفسها. ولذلك فإن العلوم الاجتماعية بالنسبة لأنصار هذا الاتجاه موحدة بالنظر إلى اهتمامها المشترك بالسلوك، فضلا عن أنها متحدة في الأسس المنهجية — فكل العلوم اجتماعية أو طبيعية– تفترض نفس الافتراضات وتتتبع نفس المبادئ. ولهذه الوحدة نتائج هامة بالنسبة لعالم السياسة السلوكي لأنها تتيح له وبشكل مشروع استخدام المعلومات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وغيرها في محاولته شرح وتفسير الظاهرة السياسية.

أما على المستوى الفلسفي فقد تبنت السلوكية عددا من الافتراضات النقدية فيما يتعلق بطبيعة العلم. فقد رفضت الزعم الذي أثاره عدد كبير من النقاد بأن العلوم الاجتماعية فريدة في متطلباتها المنهجية وأنها تتضمن أدوات ومهارات معرفية وإجراءات عملية مختلفة عن تلك السائدة في العلوم الطبيعية. وأصر السلوكيون على أن هناك طريقا واحدا فقط للعلم وان الحديث عن وضع خاص فيما يتعلق بعلم السلوك الإنساني يعني في الواقع تجاهل مكانته العلمية.

فالحقيقة، كما تزعم السلوكية، يمكن إدراكها فقط من خلال خصوصيتها أي في مظاهرها الفعلية المحددة ولذلك فهي تحصر ما يمكن أن يمثل معرفة في العبارات الاستقرائية، الكمية، القابلة للتحقق، والمحددة، بينما ترفض كل العبارات التي تستند على أسس أخرى باعتبارها لا تستند على أدلة أو ذاتية أو حتى عديمة المعنى. وأكثر تلك العبارات رفضا من قبل التوجه السلوكي تلك التي تدعي استنادها على الحكمة أو الاستبصار أو الحدس. ولذا تصر السلوكية على أن الروحانيات والأساطير والغيبيات التي ترفض أن تحول نفسها إلى تجارب راسخة وتصر على أنها أكثر من مجموع عناصرها المكونة وترفض الخضوع للمجال العلمي الصارم إنما تبقي نفسها خارج إطار الخطاب العلمي القابل للتحقق.

وتؤكد الاقترابات السلوكية على أهمية التحليل الإمبريقي بل إن عددا من علماء السياسة يؤكدون أن السلوكية في الواقع مرادفة إلى حد كبير للأمبريقية. ومع أن الاتجاه التقليدي لعلم السياسة كان امبريقيا فيما يتعلق بوصف الظاهرة السياسية محل الدراسة إلا أن السلوكيين أكثر هوسا في التفاصيل وأكثر صرامة في إمبريقيتهم ولذا فهم يفضلون في الغالب استخدام نماذج التحليل الإحصائية والحسابية والاقتصادية لأنها تسمح بقدر من التحليل الإمبريقي الدقيق للظاهرة السياسية. ونظرا لتركيزها على

التجريبية فإن السلوكية تميل إلى رفض التحليل التاريخي لأنها ترى من غير المنطقي البحث في الماضي عن (تفسيرات ورؤى وأفكار حول شئون السياسة) عندما تكون الملاحظة الطريق الأكثر اعتمادا للوصول إلى المعرفة. كذلك يتناقض التوجه السلوكي تجاه تحليل ما هو (ملاحظ) مع التوجه الذي يهتم بما ينبغي أن يكون. بل أن أحد السمات الرئيسة للسلوكية يتمثل في رفضها للمسائل المعيارية (القيمية) المرتبطة بالتوجه التقليدي لعلم السياسة.

وقد لخص أحد المنتمين لهذا التوجه وهو ديفيد آيستن النموذج السلوكي في ثماني خصائص رئيسة هي:

1- ***الانتظام*** *(Régularités)*. حيث هناك تماثل يمكن اكتشافه في السلوك السياسي. ويمكن التعبير عن هذه الانتظامية من خلال تعميمات أو نظريات ذات قيمة تفسيرية وتنبؤية.

2-***التحقق أو التأكد*** *(Vérification)*. فلا بد أن تكون صدقية تلك التعميمات قابلة للاختبار.

3- ***طرائق البحث*** *(Techniques)*. لا يمكن التسليم تماما بوسائل جمع وتفسير المعلومات إذ أنها لا تخلو من مشاكل وتحتاج إلى فحصها بدقة وتنقيتها حتى يمكننا إيجاد وسائل صارمة لملاحظة وتسجيل وتحليل السلوك.

4- ***القياس الكمي*** *(Quantification)*. تتطلب الدقة في تسجيل البيانات وإعلان النتائج قياسا وتقديرا كميا ليس من أجل القياس لذاته وإنما فقط عندما يكون ممكنا وذا صلة ومعنى على ضوء الأهداف الأخرى.

5- ***القيم*** *(Values)*. يتضمن التقويم الأخلاقي والتفسير التجريبي نوعين مختلفين من الافتراضات ولذا ينبغي التمييز بينهما في التحليل من أجل الوضوح. ومع ذلك ليس محظورا على دارس السلوك السياسي التأكيد على افتراضات أي منهما منعزلة أو مجتمعة طالما يمكنه تمييز كل منهما عن الآخر.

6- ***التناسق والتراتبية*** *(Systematisation)*. ينبغي أن يكون البحث متناسقا أي أنه يجب أن تبدو النظرية والبحث كأجزاء مترابطة لكيان معرفي متماسك ومنتظم. فالبحث الذي لا يسترشد بنظرية يمكن أن يكون تافها وكذلك النظرية التي لا تدعمها معلومات.

7-***العلم الصرف*** *(Pure Science)*. أن تطبيق المعرفة يمثل جزءا من الفهم النظري بنفس القدر الذي نجده في المؤسسة العلمية. إلا أن فهم وتفسير السلوك السياسي منطقيا يسبق ويقدم الأسس لجهود توظيف المعرفة السياسية لحل المشاكل العملية الملحة في المجتمع.

8- ***التكامل*** *(Intégration)*. نظرا لأن العلوم الاجتماعية تتعامل مع الحالة الإنسانية بكاملها فإن تجاهل البحث السياسي لنتائج الحقول الأخرى يمكن أن يضعف مصداقيته ويقوض تعميم نتائجه. وعليه فإن تسابق العلوم الاجتماعية نحو تأكيد استقلالها يمكن أن يؤدي إلى تقويض دعائم العلم نفسه.

المحاضرة الثامنة عشر: النظرية الوظيفية

ترى المدرسة الوظيفية أن المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزاءه سوياً لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته. ووفقاً لهذه المقاربة، فإن على علم الاجتماع استقصاء علاقة مكونات المجتمع بعضها ببعض وصلتها بالمجتمع برمته. ويمكننا على هذا الأساس أن نحلل، على سبيل المثال، المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية، بإظهار صلتها بغيرها من مؤسسات المجتمع لأن أجزاء المجتمع المختلفة تنمو بصورة متقاربة بعضها مع بعض.

ولدراسة الوظيفة التي تؤديها إحدى الممارسات أو المؤسسات الاجتماعية، فإن علينا أن نحلل ما تقدمه المساهمات أو الممارسات لضمان ديمومة المجتمع. وطالما استخدم الوظيفيون، منهم "كونت" و"دوركايم" مبدأ المشابهة العضوية. ويأتي هؤلاء أن أجزاء المجتمع وأطرافه تعمل سوياً وبصورة متناسقة كما تعمل أعضاء الجسم البشري، لما فيه نفع المجتمع بمجمله. وليتسنى لنا دراسة أحد أعضاء الجسم، كالقلب على سبيل المثال، فإن علينا أن نبين كيفية إرتباطه بأعضاء الجسم الأخرى ووظائفه، وعند ضخ الدم في سائر أجزاء الجسم، يؤدي القلب دوراً حيوياً في استمرار الحياة في الكائن الحي. وبالمثل، فإن تحليل الوظائف التي يقوم بها أحد تكوينات المجتمع يتطلب منا أن نبين الدور الذي تلعبه في استمرار وجود المجتمع ودوام عافيته.

إن المدرسة الوظيفية تشدد على أهمية الإجماع الأخلاقي في الحفاض على النظام والاستقرار في المجتمع، ويتجلى الإجماع الأخلاقي هذا عندما يشترك أغلب الناس في المجتمع في القيم نفسها. ويرى الوظيفيون أن النظام والتوازن يمثلان الحالة الاعتيادية للمجتمع-ويرتكز التوازن الإجتماعي على وجود إجماع أخلاقي بين أعضاء المجتمع. إن دوركايم، على سبيل المثال، كان يعتقد أن الدين يؤكد تمسك الناس بالقيم الاجتماعية الجوهرية، ويسهم بالتالي في صيانة التماسك الاجتماعي.

وربما كان التفكير الوظيفي يحتل مكان الصدارة بين التقاليد النظرية في علم الاجتماع لوقت طويل، ولاسيما في الولايات المتحدة، وكان "تاكوت بارسونز" و "روبير ميرتون"، قد نهل كلاهما من أفكار دوركايم، أبرز الداعين إلى هذا التيار، غير أن الشعبية التي كانت تتمتع بها المدرسة الوظيفية قد مالت إلى الأفول في الآونة الأخيرة بعد أن اتضح ما تعانيه من أوجه القصور والثغرات. ومن جملة ما يوجه لها من انتقادات أنها تغالي في التشديد على العوامل المؤدية إلى التماسك الاجتماعي على حساب العوامل الأخرى التي تفضي إلى التجزئة والصراع، إن التركيز على نواحي الاستقرار والنظام يعني التقليل من أهمية التقسيمات والتفاوتات التي تنشأ في المجتمع على أساس الطبقة والعرق والجنس. كما أن الوظيفيون يميلون إلى التقليل من دور الفعل الاجتماعي الخلاق في المجتمع. ويرى كثير من النقاد أن التحليل الوظيفي يسبغ على بعض المجتمعات صفات اجتماعية لا توجد فيها. ذلك أن الوظيفيين كثيراً ما يقولون إن للمجتمع "حاجات"، وإن له "أهداف" رغم أن هذه المفاهيم لا تصدق إلا على الأفراد من البشر

النظرية الوظيفية التي تعتبر احدى نظريات العلاقات الدولية تحتل مكانا مرموقا بين النظريات السوسيولوجية المعاصرة ولا نكاد نجد باحثا في علم الاجتماع إلا وظهرت في أعماله وتفسيراته ومنهجه خصائص الوظيفية، بل وإنها تعد من أوسع الاتجاهات انتشارا في دراسة الظواهر الاجتماعية والتي بدورها تقودنا لدراسة الملابسات السياسية المتعددة.

نشأة النظرية الوظيفية

تمتد الجذور التاريخية للنظرية الوظيفية إلى آراء المفكر العربي عبد الرحمن بن خلدون واسهاماته الأدبية والفكرية في مجال علم الاجتماع والنظريات المنبثقة عنها، وتبعه ماكس فيبر (الدين والاقتصاد)، وايميل دوركايم (تقسيم العمل في المجتمع)، ووليام جراهام (طرق الشعوب)، في مؤلفاتهم المشهورة.

وفي العصر الحديث تشكلت النظرية الوظيفية في الاتجاه الآخر للمدرسة الحيوية في القرن الثامن عشر الميلادي وإلى المفكرين البارزين فولتير، هوبز وروسو الذين درسوا العلاقة بين متغيرين أو عاملين أحدهما مستقل ويعبر عن المدخلات أو المسببات والآخر تابع ويعبر عن المخرجات أو التأثير، وفي نتيجة لظهور علماء من أمثال كونت (القرن التاسع عشر ميلادي استخدم مصطلح (وظيفي وسبينسر، وكانا قد شبها المجتمع الإنساني بالكائن الحيواني من حيث أنه يجسد سبب الظاهرة ووظيفتها.

تعريف النظرية الوظيفية

تعتبر الوظيفية من الاصطلاحات التي يكثر الجدل حولها في العلوم الاجتماعية، ويرجع ذلك إلى الاختلافات التي تنجم عن استخدامها في البيولوجيا، وكذلك تعدد معانيها يؤدي إلى الخلط واللبس، و في هذا السياق يذهب "نيقولا تيماشيف" إلى أنه من الصعب تحديد المقصود بهذا الاتجاه، وذلك يرجع حسب رأيه إلى أن مصطلح وظيفة، ووظيفي في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية، يتضمنان معان مختلفة ومتباعدة.

لذا فيمكننا صياغة تعريف شامل ومبسط نوعا ما يشمل كل مناحي النظرية الوظيفية، وهو أنه مهما كان نوع النظرية الوظيفية فهي نظرية تقوم على اعتبار مصطلح الوظيفة الأداة المفهوماتية الرئيسية لدراسة الأنظمة الاجتماعية، وهذا انطلاقا من الاعتماد على مسلمة مفادها أن كل نظام اجتماعي يتكون عن عناصر مترابطة فيما بينها ويرجع هذا الترابط إلى قيام كل منها بوظيفة، وقيامه بهذه الوظيفة مرتبط بقيام الآخرين بوظائفهم، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق التكيف والاندماج، ومن هنا يتبين أن الوظيفة تستعمل من منظور المماثلة العضوية: وارتباط الأجزاء الكل والمنظور الرياضي: تناسب القيام بالوظيفة مع حاجة الكل

مبادئ ومرتكزات النظرية الوظيفية

تهدف الوظيفية إلى تجنب قضايا ومجالات النزاع لتركز على قضايا ومجالات التعاون، وتحاول خلق شبكة كثيفة من المصالح والاهتمامات المشتركة بين الدول وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى إقامة مجتمع دولي مسالم وخال من الحروب عبر التعاون في المجالات الاقتصادية والمنفعية

تقوم الوظيفية على منهج معاكس للمنهج الدستوري، إذ أن منطق التكامل لا يجب أن يكون فوقيا(دستوريا)، بل بالتركيز على التعامل مع الشؤون الاقتصادية والاجتماعية في المقام الأول

الخاتمة

تشكل المنهجية العالمية العمود الفقري لاي بحث في أي علم كان بهدف انتاج المعرفة او يطمح لمراقبة وفهم السلوكيات والتغيرات الاجتماعية والسياسية

وتلعب الدراسات العلمية دورا أساسيا في تخطيط الحكومات وتنظيم المؤسسات كما انه يمكن لهذه الدراسات ان تكون ثروة معلوماتية مهمة للمجتمع عامة

من هنا، أهمية المنهجية العلمية في أي عملية بحث تهدف الى فهم الظواهر وتطوير سياسات أو برامج من غرض التنمية أو تغير إيجابي في المجتمعات

يدرس مقياس منهجية البحث العلمي في كل الجامعات عبر العالم وفي جميع التخصصات العلمية والتقنية وتخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية وتهدف منهجية البحث العلمي الى جعل الطالب الجامعي منهجيا في تفكيره وطروحاته وبحوثه متخلصا من الجمود الفكري ومتوجها نحو الابداع والتحديد والنقد والتحليل الممنهج والمنظم

ان تجنب اصدار احكام تعسفية من طرف الباحث أو وقوعه في السذاجة العلمية يتركز على مدى تسلحه بالمنهجية العلمية وأساليب البحث والتحكم في تقنياته

وقد جاءت هذه المطبوعة كأداة تسمح لطالب الجامعي بالإلمام بالنظريات والمفاهيم الأساسية في مجال البحث العلمي كما تساهم في اكسابه المهارات اللازمة التي تساعده على اعداد البحوث والدراسات العلمية في شتى المجالات الإنسانية والاجتماعية والسياسية.

قائمةالمصادر والمراجع:

-بن حسان زينة، مطبـوعة بيداغوجية في مقيـاس: نظريات علم الاجتماع الحديثة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2020-2021

-عبداللاوي حسين، النظرية الوظيفية في السوسيولوجيا الحديثة: من النظرية الوظيفية إلى النظريات الوظيفية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2019- 2020

-علا زكي داود القاق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية بعنوان: دور النظرية الوظيفية في تحليل سياسات جامعة الدول العربية خلال الفترة 1945- 2014، جامعة الشرق الاوسط، أيار 2015

-ايت منصور كمال، طاهير رابح، منهجية إعداد بحث علمي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2003.

- عوابدي عمار، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية، الطبعة الرابعة، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

- بوحوش عمار، الذنيبات محمد محمود،مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث ،ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر،2001.

-ايت منصور كمال، طاهير رابح ، منهجية إعداد بحث علمي ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر،2003.

- فاطمة عوض صابر ، ميرفت علي خفاجة ، أسس ومبادئ البحث العلمي ،مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، الإسكندرية 2002.

- عبد الله محمد الشريف، مناهج البحث العلمي ،مكتبة الإشعاع نالإسكندرية ،1996.

- ساعاتي أمين، تبسيط كتابة البحث العلمي ، المركز السعودي للدراسات الإستراتيجية ،مصر الجديدة 1991.